قهوة رسامة

الفصل الأول

((الأنامل الملونة))

حينما تريد ان تطرق بابها، وقبل ان تهم بالدخول إلى عالمها الخاص وإلى المحراب الذي تسكن نفسها إليه تتصاعد روائح الوانها لتخترق الصمت الذي يطبق على مرسمها.

لهدوء مشاعرها علاقة وثيقة برسوماتها التي تعطيها الطابع الخاص.

تلك الفتاة التي تختزل مقصورة مشاعرها في طيات لوحاتها فهي تهوى استراق الأحداث عبر الوانها فهي دوماً ما تجعل لوحاتها تنضج ببريق الانتظار فترسم مشاعرها في سطوة لوحاتها.

فالرسم بالنسبة لها اسطورة تراجيدية تهوى تكرارها بأناملها الناعمة ورونقها الآخذ لتترجم جولات وصولات قلبها المترف بالأمل الذي اكتسى في بياض قلبها معطفا ترتديه كل يوم

علاقتها بين الفرشاة واللوحة علاقة ام بطفلها الرضيع الذي لا يفارق احضانها الدافئة بالألوان المشبعة بسحرها المنثور بين الفرشاة واللوحة المفعمة بانعكاس ادق تفاصيل مخيلتها وواقعها واملها في الحياة فهي ترسم ككاتب يستمتع بتناغم الكلمات في تشكيل عبارته بين دفتي قلمه وعبارته المنتقاة بتألق، فما ترسمه ما هو الا تهذيب للياقة مشاعرها نحو نفسها والحياة في أطوار همساتها التي اخترقت عنان السماء وكأنها تخاطب نفسها بلغة لن يفهمها غيرها فمنذ نعومة طفولتها وهي ترسم الى ان اصبح الرسم بالنسبة لها برتوكول لن يكسر ونظاما لن يحيد وقانونا لن يتغير فالرسم هو واحة الراحة التي تستظل بظلها على الدوام.

تعشق الوحدة وتهوى الانطوائية، فالرسم هو الاختباء من الوجود والاحتفاظ بالفرشاة أكبر قدر ممكن من الساعات الطويلة التي تقضيها في الرسم والذي شكل بدوره تلك الخصلتين وهي لا ترى نفسها وحيدة أو مكتفية ذاتياً فإحساسها المتألق بالرسم جعل للرسوماتها اصدقاء يتسامرون معها كل ليلة فمجموع تلك اللوحات كونت لها مدناً وبنت لها قلاعا حصينة تجاه عبثية مشاعرها نحو أتفه الأشياء فهي كالملكة في مرسمها تضع ادوار الممثلين في لوحاتها كفيلم سينمائي ممنوع من العرض.

فهي مع فرشاتها تنفث الأحلام وتضيع السراب الرسم هو روحها الحرة الطليقة بلا قيود وعوائق أو مجاملات زائفة تغطيها ابتسامة صفراء باهتة هي كالنسمة الرقيقة الناعمة التي تشعر بها ولا تستطيع ان تراها.

لم تدرس الفن، بل تجرعت سمو التجربة من شرف الموهبة تعلمت في مجال الفن ما يفوق ما يعلمه الدارسون، لا يقدها قانون وإنما طلاقة خيالها هو نسيجها السحري في رقصها مع الألوان واللوحة.

وهي في ذلك المرسم اشبه بضفائر الورد التي تتدلى كأعناق العنب التي تشكل جزء من تلك المقطوعة الموسيقية، التي قررت ان تعيشها باقتدار جامح، في صمتها الذي يصرخ في لوحاتها وكأنها عواصف لا تهدأ.

عاشت تحت كنف اسرة ثرية، فطلباتها مستجابة واوامرها مطاعة، تحب رائحة العطور المنعشة فالعطور بأنواعها وتشكيلاتها جزء من طقوسها الفنية إحساس كل رائحة يعطي منحنى مختلف لمزاجية الفرشاة التي تنطلق باللون الذي لا يعرف مصيره حتى صاحبة الرسمة فهي تنسج من روائحها عبقا لرسوماتها بوزنية لا تعرف لها ثباتاً أو مكاناً في كل لوحة قصة وفي كل قصة فكرة تقودها إلى التعبير العفوي أو المتعمد حسب أهوائها تنطلق دون توقف.

هي الابنة الوحيدة لذلك التاجر العصامي الذي كون نفسه بنفسه صاحب أشهر سلسلة مطاعم في مدينتها على الأقل؛ كم حاول وحاول ان يعلمها لغة الأرقام والحسابات فأبت إلا ان تواجه اللوحة وتأخذ الرقم الذي تكتبه بنفسها ولا أحد سواها.

فمحاسن الدنيا لم تكن بالنسبة لها المال فروحها لا تتعطش لشيء ارتوت به إلى حد الثمالة.

تحب التأمل فهي رسامة تتأمل في كل لحظة وكل همسة وكل خطوة الموجودات والمحسوسات وفي قلبها لوعة لا رداء لها.

حينما تسافر تصطحب آلة التصوير معها لتوثق ما تتأمله، وما يشبع ناظريها، فهي تجوب هنا وتمرح هناك وتعبث بأبسط الأشياء لتخرج من عالمها الباذخ، فهي وإن كانت ابنة التاجر فهي رسامة احاسيسها رقيقة ومشاعرها خافقة.

وحينما تسافر تكون لها الأسبقية في الارتياح ، فهي بعيدة عن ردهات القصر وعن البريستيج الاجتماعي الخاص بالطبقة المخملية.

تسامر الدنيا في أعين الأطفال، وتترقب الغيوم قبل الإمطار، تسافر لتختزل وجدانها في إحدى لوحاتها القادمة.

فالسفر بالنسبة إليها معزوفة لها لحن يصدر بقيثارة لا يتكرر لحنها إلا في عوالمها الخاصة فحينما توضب حاجيتها استعداد للسفر تشعر بسعادة غامرة نحو الأفق البعيد فهي تحب ان ترى رداء لا ترتديه وان ترى اشخاصاً لا ينتمون لثقافتها فهي تستمتع حينما تجلس في إحدى المقاهي وتنظر إلى الناس وهم يتجولون في المكان ذهاباً وإيابا فهي تحب التأمل لأنها رسامة تستقي التفاصيل الصغيرة عنواناً فتخفيه في لوحة او تستخدمه في أسلوب جديد للرسم او حتى تحتفظ بالتفاصيل لتبني به عالمها الخاص من الخيال الذي تتوقع في اي وقت ان يخلق لها لوحة فنية رائعة تتباهى بها امام الناس فالتفاصيل في كل شيء هو سحرها الخاص الذي لا يملك طلاسمه إلا رسامة.

الفصل الثاني

((موسيقى الفرشاة))

بعد شهر من الآن، بالتحديد في السابع عشر من شهر يوليو، هناك لوحات فنية تنتظر ان يكشف عنها الستار ويرفع عنها الحجاب، فهي ترغب في المشاركة في إحدى معارض لندن العالمية، لعرض لوحاتها بطريقة تشرفها وتزيدها فخراً أمام جنوح نفسها لواقعها المترجم في لوحاتها الذي يعبر بأريحية فرشاتها نحو الأمل والحياة.

أجواء المعارض في تلك البلد مختلفة عن بلدها، مما يدفعها لارتداء اجمل الملابس، فمن يهوى الرسم تظهر عليه معالم الأناقة في ملابسه التي يرتديها فجمال اللوحة ما هو إلا اهتمام بأدق التفاصيل التي تنعكس على الرسام في كل شيء فقد جعلت نفسها في أبهى حلة اناقتها الآسرة.

وعادةً في رحلاتها لديها طقوسها الخاصة، أولها: اصطحابها لأجود انواع البن، فحاسة تذوقها باهرة إلى حد الجنون، بحكم انها ابنة صاحب المطاعم الشهيرة فقد تعلمت منه تمييز الجيد من الرديء في الطعم والرائحة.

وبجانب البن، هنالك رائحة عطرها المفضل الذي لا تستغني عنه؛ فذلك العطر تمت تركيبته في مدينة غراس الفرنسية في عاصمة العالم لصناعة العطور وهي مدينة صغيرة لكنها عظيمة بروائحها المفعمة بالحب المدقعة بالأريج الفاتن الساحر.

فما بين الحقول ازهار اللافندر والياسمين وزهر البرتقال تستخرج اجود انواع العطور من تلك المدينة التي لن ترضى بسواها لعطرها الخاص.

بعد تلك الترتيبات البسيطة، تهمس للسماء داعية ربها بالتوفيق وان ينال المعرض الزخم الذي تريده فهي وان كانت وحيدة ومنعزلة على نفسها الا انها تريد ان تجعل لوحاتها تنطق بما خبأته حياتها المغلقة على نفسها ولوحها.

عبر السماء، تصل لمدينة الضباب ويمر اليوم الأول والثاني ثم يبدأ معرضها في اليوم الثالث حسب اليوم المحدد لعرض لوحاتها في جدول اعمال المعرض الدولي، تقف على عتبة بوابة المعرض مشدوهة فلوحاتها تزين المكان ، وما بين اللوحة واللوحة موهبتها التي سقتها بترياق ألوانها التي زينت مرسمها الذي اعتنق الجمال بفرشاتها الواعدة والوانها المتناسقة الآخذة فلوحاتها هبة ربانية لا تعبر إلا عن الموهبة الذهبية التي تعكس واقعاً او خيالاً او فكرة ماضية او ربما تجربة تعيشها ولا نعلم مكنون حقيقتها.

في نهاية المعرض، وبعد إسدال الستار على اعمالها في واحد من أبرز وأقوى المعارض الفنية على مستوى العالم، نالت مرادها وحظي المعرض على اشادة الجميع. تعبت وكان لها ما أرادت! تميزت في عرض أعمالها فما كان لها إلا أن استحوذت على اهتمام كبار الفنانين الذين سبقوها في نفس المجال وأثنوا على ما قدمت من طرح رائع وعمل ماتع.

وأما العامة فقد اعجبتهم اللوحات دون ان يعلموا او يقرأوا او حتى يفهموا المعنى من خلف هذه الرسومات فقد اكتفوا بالنظر ورحلوا كسحابة صيف.

عند بوابة الخروج من المعرض، تختال واثقة بخطواتها في غنج رسامة متباهية بنفسها وكأنها ارتدت لوحاتها في خطواتها المكللة بالنجاح الذي كانت تتوقعه فقد كرست حياتها لهذه اللحظات الرائعة.

الفصل الثالث

((هذيان قهوة))

في إحدى الليالي الباردة وهي ترتشف قهوتها ، ارادت ان ترسم لوحة بعد ذلك الإنجاز العظيم والنجاح الموعود الذي طالما انتظرته طويلاً، فأن تتفوق فيما تحب هو الإختيار الذي ترغب بتكراره دائما فالتميز والتفرد فيما نجيد هو مصدر فخر لنا وشيء نستمتع بإضافاته المختلفة على الدوام. إلهامها الذي يجعلها ترسم بطريقة ساحرة يعكس جمالها الداخلي وإطلالتها البانورامية على فرشاتها التي تنتظرها على الدوام لتفرغ اجمل الرسومات واحلى التعابير في كل لوحة تصنعها لأنه عمل يبدأ بالحب فهو المحرك الأول لهذه المنظومة الفنية الرائعة تفرغه في مرسمها بإتقان وعطرها يفوح في كل لون ولون فجميع الوانها لها نكهة خاصة لا يتذوقها إلا رسام ولكنها تذكرت بأنها مغتربة لم تعد لأرض الوطن بعد، فهي لم تجلب معها فرشاتها وأدواتها فالمرسم هو المرسم لا ينتقل بأي طريقة. فانتابها الحزن وهبط عليها وحي من حنين يهيضها على الرسم ويجعل اناملها تتحرك لكي ترسم لوحة بعد نشوتها الغامرة بالفرح والنجاح.

فكرت وعصرت حبل افكارها وفجأة تنبهت لوجود قلم رصاص ومذكرة موجودة على مكتب غرفتها في الفندق. أمسكت به وحاولت تحريك يدها على الصفحة البيضاء علّها تفرغ ما بداخلها ولكنها عجزت! فرغبتها الجامحة للرسم في تلك اللحظة جعلتها تمقت الرسم بطريقة اعتيادية رتيبة، على الأقل في تلك اللحظة!. في غمرة الأفكار، وقع نظرها على أعواد الثقاب، أمسكتها وغلفت عدد منها بالقطن المخصص لإزالها المكياج وأحكمت التغليف بطريقة ذكية ثم أخذت كوب القهوة فإذا بها تبلل عود الثقاب المغلف بالقطن في بقايا بن القهوة لتحيك عالمًا ساحر على ظهر لوحتها التي لم تتشكل ملامحها بعد.

زهو رائحة البن مع دقة رسمها واحاسيسها الفنية التي تعلو اناملها جعلها ترسم لوحة تستقر ايقاعاتها بتناغم الذوق والإحساس وكأنها سيفونيه ساحرة.

حين عودتها الى مرسمها أسرعت في تطبيق تلك الفكرة المجنونة ولكن بطريقة اكثر احترافية ومهنية.

فأصبح الرسم بالقهوة بديلًاعن ألوانها، في الفترة الحالية كنوع من التغيير وبالفعل تفننت به حد الهوس حتى اصبح مرسمها يفوح برائحة القهوة، فعند زيارتك له تكاد تجزم بأنك في محمصة للقهوة.

وإن فعلت فلا تكذّب حدسك، لأن من طقوسها عند توقفها للإستراحة تحميص البن في الة خاصة وضعتها في زواية مقابلة لمرسمها لتشرب قهوتها وهي تتأمل لوحتها التي لم تنته بعد.

انه الكافيين المنبه الفريد لجميع المشاعر الإنسانية فهو يساعدها على الإحساس بما ينقص تلك اللوحة. مع الأيام أصبحت تشرب القهوة كشربها الماء بل ربما اكثر قليلاً.

بعد اتقانها الرسم بالقهوة يحدث شيء في حياتها يغير رتمها بطريقة لم تكن في الحسبان ولم تتوقعه ابدا.

الفصل الرابع

((النظارة السوداء))

في فصل الربيع، حينما تتفتح الأزهار ويكتحل العشب بلمعة البساط الأخضر وتغدو الأشجار اكثر مرونة، تخرج الرسامة كل صباح قبل الشروق، فهي تستيقظ على زقزقة العصافير، وتلبس ملابس زاهية مريحة تعكس نعومتها ومن ثم تخرج لساحة منزلها الخلفية تأخذ نفسًا عميقًأ و تطلق رجليها تهيم في الطبيعة الخلابة، جمال الربيع يكمن في انبلاج الحسن والجمال فالخضرة تطوّق ذلك المكان وتصبح كل زاوية عبارة عن كتاب مفتوح للراحة في ينبوع الطبيعة، تتجول وهي في منظورها انها تخرج قليلا من رائحة المرسم إلى فيضان الجمال الرباني، تأتي لتتأمل وتتفكر فتجتبي من الطبيعة هدوءا لشخصيتها واطمئنان لروحها وسكينة لقلبها. جولة مع الطبيعة في فصل الربيع هو جزء لا يتجزأ من شخصيتها الحالمة وعينيها الناعسة.

في يوم الأجازة، قررت أن تتجول في الحديقة العامة، القريبة من منزلها بعد تناولها لوجبة افطارها في المنزل، كنوع من التغيير. وبينما هي هناك تلمح شخصا يتمشى في الحديقة وهو يرتدي نظارة سوادء وقبعة انيقة ومعه عصاة يتوكأ عليها، تراقبه حتى يهم بالجلوس في مقعد الحديقة ويخرج كتابا من حقيبته ليقرأه، تراقبه بكل دهشة وذهول.

هناك مسافة تفصل بينهم فإذا بها تقترب اكثر من صاحب النظارة السوداء وهي بذلك تكسر جليد الوحدة المتقوقعة بداخله منذ صغرها لترضي فضولها، كيف لهذا الشخص أن يقرأ دون النظر للكتاب!، تساءلت بداخلها وهي تقترب منه شيئًا فشيئا فتفاجأت عندما وجدت الصفحات فارغة! ولكنها لاحظت أن أصابع يده تتحرك على الصفحة وكأنها تتحسس شيئًا ما. سمحت لنفسها بالاقتراب أكثر وأكتشفت أن الكتاب مكتوب بلغة برايل. ارتسمت على شفتاها ابتسامة لا تعلم سببًا لها، لم يخطر ببالها من قبل أن تقابل شخصًا يقرأ بطريقة لم تسمع بها إلا بطريقة عابرة

وفي تلك اللحظة، ودون أدنى تفكير قررت أن تكون هذه هي البداية المختلفة لشخصيتها، استجمعت قواها وتجرأت بالتحدث مع شخص غريب. احساسها الفطري وفؤادها الطاهر هو الذي اخذ المبادرة هذه المرة فألقت له التحية استأذنت منه.

قالت: هل تسمح لي بالجلوس إلى جانبك؟

رد وهو غير مبالي: الكراسي للعموم ولا أملكها.

غضبت من هذا الرد الغير لائق، وشعرت بالاحراج ولكنها تناست ذلك سريعًا تحت وطأة فضولها.

قالت: ماذا تقرأ؟

قال: اقرأ في التاريخ.

قالت: ولماذا التاريخ؟

قال: من لم يكن له ماضي لم يكن له حاضر.

بعد هذه العبارة توقف حبل افكارها فجأة، وفكرت لبرهة من الزمن هل يعيش هذا الرجل تحت أنقاض الماضي الذي لن يستطيع الرجوع اليه ام انه يشغل نفسه بشيء ينسيه قليلاً عن إحداثيات الواقع المعاصر الذي يعيش فيه.

فقالت له معرفة عن نفسها: لا افقه في التاريخ شيئاً ولكنني رسامة.

قال:وماذا ترسمين؟

قالت: أرسم ما أراه مناسباً. سكتت ثم استطردت عليّ ان اذهب اراك لاحقا.

بعبارتها المقتضبة أرادت ان تنهي الحديث، ذهبت إلى مكان إقامتها وهي ترتجف لا تستطيع ان تتصور ما فعلته، لقد تحدثت لأول مرة مع شخص لا تعرفه يوازي عمرها الثلاثيين في زخم ألوانها المبعثرة، ويقرأ في التاريخ! و الأهم من ذلك كله أنه لا يبصر، نامت تلك الليلة وكانت كلها أحلام غريبة.

استيقظت وهي تتثائب فهي لم تنم جيداً ولكنها لا تستطيع ان تتأخر عن موعد الإستيقاظ حتى حتى لا يختلف جدولها اليومي فهي وان كانت تحب السهر إلا أن في فصل الربيع تنقلب الموازيين، أصوات العصافير ومنظر الشروق وجمالية البقعة التي تقطن بها ومنظر الأشجار الوارفة الظلال والحدائق التي تحيط منزلها يجعلها ملتزمة بالوفاء لهذا الفصل وعدم إضاعة اي لحظة جميلة فيه.

هذا هو الفصل الوحيد من السنة الذي يبدأ فيه جدولها بالمشي في الحديقة الخلفية ثم الإفطار مع ابيها وامها ولكن حدثًا ما جعلها تضيف عنصرًا مثيرًا جديدًا لجدولها اليومي.

بالرغم من أنها كانت ترتب لتنظيم معرضها الثاني الذي ستطبق فيه جماليات الرسم عن طريق القهوة الساحرة التي أدمنتها شربًا ورسمًا، إلا أن زيارتها للحديقة العامة أصبحت من مهامها اليومية بعد أن كانت تزورها من قبل في أيام الإجازات الربيعية، ولكن هذه الأيام كان شوقها للخروج مختلفًا لم تستطيع تفسيره، كلها خوف وشوق لرؤية ذلك الرجل ذو النظارة السوداء.

الفصل الخامس

((بصيرة فيلسوف))

وكالعادة، يغدو الرجل صاحب النظارة السوداء إلى الحديقة ومعاه عصاه لكي يستدل على الطريق ثم يجلس في إحدى مقاعد الحديقة ويهم بالقراءة.

وهو في قمة اندماجه مع الكتاب الذي يقرأه تأتي إليه الرسامة وتلقي له التحية.

تقول: مرحبا، كيف حالك؟

يقول: بخير إذا تركتني وشأني.

تقول: تفضل هذه البطاقة انت مدعو لحضور معرض الرسم بالقهوة الذي سوف اقيمه.

يقول مستدركا فظاظة اسلوبه: آسف جداً على ردي، ولكني حين اقرأ لا أحب ان يقاطعني احد.

تترك البطاقة على الكرسي وتقف قائلة: إلى اللقاء.

تبتعد عنه وهي غاضبة من نفسها، لِم كل هذا الشوق للقاء رجل فظ يعاملها بأسلوب لم تعتاد عليه، لكن كل مرة تقابله تزداد توقًا لمعرفة ماهية الرجل وماهي ادق تفاصيله.

شغفها بالتفاصيل جعل الفضول يقودها هذه المرة وكأنما تتصرف بعمق شخصيتها التي ترسم بعيداً عن طباعها وأسلوبها العام.

هذه المرة اختارت مدينتها التي تقيم بها لتكون شاهدة على معرضها الثاني لذلك لن يكون بزخم ولا شهرة المعرض السابق، ولكنها أرادت ان تسمع مدى استحسان العامة عن مشروعها الجديد، لتحدد ما إذا كانت ستقيمه في معارض عالمية أم تكتفي به كهواية تفرغ بها جنونها. فهي تخاف على اسمها كثيرا ولا تريد خوض تجربة لا تعلم نتائجها على مسيرة فرشاتها الأنيقة.

اختلاف الطريقة التي ترسم بها هو اختبار أمام شرف الفضول والتجربة إما أن تكمل بنفس الطريقة أو تتألق بما تعودت أناملها عليه.

مرت الأيام سريعة وجاء يوم افتتاح المعرض، وأقصى ما تتمناه ان ترى ذلك الرجل قبل انتهاء المعرض وإعلان نجاحه.

نعم نجاحه!!!

فهي واثقة تمام الثقة بأن المعرض سوف ينجح بمشيئة الله ففي الآونة الأخيرة، لم تترك ملتقى ولا درس إلا وقد كانت اول الحضور فيه لأنها تؤمن أن تطوير الإنسان لمهاراته هو سبيل بقاؤه في كل المجالات فالتعلم ليس له حدود أو قيود، وكأن الرسم بالقهوة جاء في موعده ليكمل ألوان فرشاتها.

أقبل الحضور الغفير وبدأ مدير أعمالها بإلقاء كلمة الافتتاح بدلًا عنها لأن لديها رهبة الإلقاء امام الجمهور، تفضل أن تعرض لوحاتها ومن ثم تمر عليها وتشرح لشخص او شخصين عوضا عن ان تتحدث للعموم.

ينتهي المعرض ويلقى النجاح الذي يليق به وهي تترقب وصول الرجل الذي لم يأتي بعد.

بعد برهة من الزمن وبعد ان طال الإنتظار، وبينما كانت توضب حاجياتها استعداداً للخروج من المعرض بحزن، رأت طيف رجل قادم من بعيد يرتدي اجمل زي رأته، فبدلته انيقة وقبعته رائعة واما الحذاء فلمعته تكاد تعكس ارجاء المكان كله.

كلما اقترب الرجل زادت دقات قلبها فرحاً بقدومه كان يمشي بخطًا ثقيلة هادئة كما كان يمشي في الحديقة، ما إن رأته حتى ابتسمت ابتسامة ظهرت بها بريق اسنانها.

تذهب إليه وترحب به تقول :اهلا وسهلا لقد تأخرت بقي نصف ساعة سأريك لوحاتي

(كذبت عليه لأنها لا تريد ان تحرج تأخيره)

استطرد هو فقال: الإزدحام المروري هو السبب فالسائق يقول: انها من اكثر الأيام ازدحاماً يمازحها فيقول: ربما لأنه معرضك.

تقول: إطراء لطيف منك، شرفني حضورك.

تأخذ بيديه لتُريه بعض اللوحات التي تعمدت أن يكون لها ملمس بارز بحبات البن ليستطيع ان يقرأ الصورة، كما كان يقرأ في كتبه.

اللوحة الأولى كان اسمها الصخرة الصماء في الجبل، تقول ذلك وهو يلمسها بيديه وتردف فكرة هذه اللوحة أن الجبال تنجب الصخور الصماء التي لا تسمع صوتها.

يستطرد: من قال لكِ بأن الصخور لا تسمع؟ ألا يرتطم الصخر بالصخر؟ فكيف يرتطم به وهو لا يسمع اخاه؟

تنظر إليه مندهشة وفي نفسها تقول هل هي فلسفة ام أنه يفكر بطريقة لا افقهها، ومن ثم تأخذه إلى اللوحة الثانية وهي عبارة عن سفينة تغرق فتشرح له غرق السفينة.

يقول: وهل السفن تغرق؟

تفتح فمها مندهشة.

تقول: نعم اذا حارت مع الأمواج وتلاعبت بها الرياح وغدر بها الزمان.

يقول: لا اتفق معكِ إن غرقت السفينة فهي موجودة، ولكنها انتقلت من الوجود إلى السكون.

بعد ان سمعت جوابه تيقنت في قرارة نفسها بأن الرجل فيلسوف وله نظرته الفريدة من نوعها.

فإحساسها الذي تترجمه بالرسم ونظرياته الفلسفية قد تُشكل يوما ما عملا رائعا بينهما.

تأخذه إلى اللوحة الثالثة وقد تعمدت ان تأخذه لهذه اللوحة فهي تعتقد انها لن ترى انتقاد فلسفي على هذه اللوحة فهي لوحة بها اطفال مشردين تحت وطأة الفقر.

يقول: لماذا مشردون فلا يوجد شرود من الواقع انما هم أناس يتلحفون الأرض وينظرون إلى السماء وسوف يغنيهم الله تعالى من فضله فمن ظهر هؤلاء خرج العلماء والتجار العصاميين والمفكرين العظماء، فالفقر فقر الروح والأخلاق وليس فقير المال من يسمى بالمتشرد.

سكتت لبرهة من الوقت فلم تكن تتوقع ان تفسر اعمالها بهذه الطريقة المغايرة ذات البعد الفلسفي كانت تظن أن احاسيس الرسام هي مفتاح اللوحة الوحيد لفك تعقدياتها.

الفصل السادس

((الانتظار البارد))

سعيدة، متعبة، متعجبة، ومجهدة، هذه هي حالتها من بعد المعرض وفلسفة الرجل بتفسيراته للوحاتها وخصوصاً أنه فاقد حاسة البصر.

هي تعلم بأن لكلٍ نظرته المختلفة للوحة، لكنها فجعت بطريقة تأويله الغريبة عنها، تخبطت وتبعثرت اوراقها ولكنها سرعان ما اعادت حساباتها، وراحت تتفكر في كل لوحة من جديد بطريقة مختلفة.

لم تكن تعلم بأن تفسير كل لوحة يعكس مدى قدرة الشخص على التحليل وعلى الاستنتاج والاستنباط بناء على المتغيرات التي يمر بها في حياته وكانت تظن بأن يدها هي من تملك شفرة اعمالها.

لم تكن تعلم بأن اعمالها سوف تفسر بطريقة تجعلها تعيد حساباتها في افكارها ففلسفة الرجل جعلتها تقف احتراماً لتلك العقلية التي اضافت لها الكثير ووسعت لها الأفق لأنها دائما في السفر تحب ان تتشرب ثقافة التغيير وترتدي ما لا ترتديه بالعادة فالمزج بين الرسم وفلسفة الحياة هو شيء يضيف للعمل الفني الشيء الكثير فإبراز العمل تحت فكرة لها رونقها الخاص هو مقدار الإضافة التي تصبو إليها دائما وتتميز بها.

استجمعت قواها في مرسمها وهي كالعادة عندما تكون في محرابها ترسم أفكارها وتجسد نظراتها فتمضي في الرسم بلا هوادة ولا توقف إحساسها يفودها بتلقائية لا تشعر بها.

لم تكف عن الرسم حتى جاء موسم الشتاء وغطى البياض كل المساحات الملونة الواسعة، بالرغم من الأجواء شديدة البرودة ومنظر الثلج الذي يغطي الشوارع والأرصفة، إلا انها تلبس معطفها البني ذا الفرو الناعم وتذهب إلى نفس الحديقة تريد ان تبحث عن تلك النظارة السوداء التي اشغلت تفكيرها ويالخيبة الأمل التي تصيبها كل يوم، لأنها لم تجد من كان يرتديها.

ولكنها لم تيأس فهي تعيد الكرة كل يوم علها تجد ذلك الكائن المخالف لتوقعاتها.

الفصل السابع

((زهد المشاعر))

جاء ذلك اليوم الموعود الذي طالما انتظرته، اليوم الذي رأت فيه صاحب النظارة السوداء على مقعده المعتاد في الحديقة وبجانبه كلبه، تلاطف الكلب بيديها وتطلب الإذن بالجلوس إلى جانبه فيقول لها رده المعتاد الكراسي للعموم.

ولكنها هذه المرة تضحك فور سماعها للجملة، فقد اعتادت على ردود ذلك الرجل الذي يتميز بحس الفكاهة الساخرة تعجبها طريقته في الحديث وفلسفته والنكات التي يلقيها عليها بين الحين والآخر فهي لم تعتاد هذا النوع من الناس شعورها بأنه مختلف هو ما يدفع فضولها للبحث عنه فهو أعمى البصر وليس البصيرة يحلل بطريقة كأنه يرى أفضل من المبصرين ويضحك للدنيا كأن الدنيا تلقي له الطرائف فيصيفها بأسلوبه فيشيع البهجة على من حوله بطاقته الإيجابية العالية وتهكماته أحياناً جعلها تنقاد إليه طواعية منها دون أن تشعر بنفسها.

اعجبت بحيويته وشخصيته وأسلوبه في التعامل حتى حينما يكون جاف في تعامله، أعجبها ذلك الأسلوب ربما اعجاب وربما بداية لقصة حب تبدأ بطرف واحد يعشق التفاصيل ويهيم في الوجود كبراءة الأطفال يحلق في الكون بلا حدود أو قيود.

سألته: لأول مرة ارى هذا الكلب معك، هل اشتريته قريبا؟

فأجاب: انه صديقي الجديد فهو يساعدني قليلاً في الطريق وذلك لأني انتقلت إلى منطقة بعيدة ولكنني لا ارتاح إلا في هذه الحديقة الغناء فهو يرافقني في الطريق حتى لا أمِلُ من السير إلى الى الحديقة ويرشدني ايضاً لأنه يجب ان اذهب للطريق اكثر من مرة حتى احفظه بالإضافة إلى قيادة بعض الناس الذين لا يراعون حقوق المشاة فضلاً عن تخطيط الشوارع الذي لا يساعد فاقدي البصر في مسارات خاصة لهم فنحن قلة ومن يهتم؟

فالكلب قد يكون تنبيه صريح بوجود شخص ضرير يريد ان يعبر الطريق.

تنهدت قليلا وهي تفكر وهو لايزال يتحدث إليها فتتخيل حياته وهو لا يرى شيئاً وهو يخبرها بأن هذه الحديقة المفضلة لديه من بين باقي الحدائق فيثير ذلك استغرابها ثم تفكر بما قاله ومع الأيام تستشف بأن هناك اصوات أنهار بجانب الحديقة، ومقعد مناسب لإجراء بعض الحوارات البسيطة والقاء السلام، وبعض الأمور الأخرى التي تجعله يفضل هذه الحديقة على غيرها. معه اكتشفت اشياء لم تكن تعرفها بما يتعلق بحياة شخص فقد بصره، ولكنه مستمتع بكل لحظة في حياته بطريقته الخاصة فما يمتلكه من بعد النظر وتقديره للأمور وحكمته ودهائه هو ما يميز وجوده بل ويتفوق على غيره لأنه دائم التفكر وكما أنه يقرأ في كتب التاريخ كثيراً بل وحتى الأفلام الوثائقية التي تتواجد بها خاصية شرح الأحداث بطريقة تناسب فاقدي البصر تزيده خبرة ومعرفة ودراية تنوع البرامج الذي يسمعها واستماعها لمختلف البودكاست كون لديه حصيلة رائعة من المعرفة التي سرعان ما تخرج من أحاديثه التي يغلب عليها التحليل والوصف الدقيق وكأنه لا يفوت أي شاردة أو واردة إلا ويستفيد منها فمنذ صغره وهو يحاول أن يبين للجميع بأنه ليس هناك فرق بينه وبين غيره وبالفعل إلى درجة كبيرة تفوق على الكثير بفضل اجتهاده وحيويته التي يستمدها من الحياة التي أعطته الهمة العالية.

تقول له: لقد تعلمت منك اشياء لم تكن في الحسبان، كنت ارى بأن الإحساس الصادق من الممكن ترجمته في لوحة، ولم اكن اعرف ان الزهد يغير من نظرتي للأشياء فكل ما أريده استطيع ان اجلبه دون مشقة، فالزهد يجعل للحياة معنى حتى تغيرت نظرتي، فلم اعد تلك الفتاة التي لا يرضيها إلا أن تتكلف وتشتري الغالي والنفيس لكي تعيش بسعادة فمن جعل قلبه جنة لن يضيق به رحب الفضاء، علمتني ان المشاعر ليست وليدة اللحظة فربما ارسم هذه اللوحة بناء على نوبة شعورية تجتاحني ولكنها مرتبطة بسلسلة من العواطف السابقة تعلمت منك ان اقرأ في التاريخ فالتاريخ يصقل فلسفتنا في الحياة، ويجعلنا نغوص في دواخلنا بطرق متعددة وأساليب مختلفة، قد يخترع الإنسان الآلة ولكنه لا يستطيع أن يستحدث أنظمة للمشاعر الإنسانية فالإنسان يبقى إنسان في قديم الزمان وحتى الآن وروح وعقل وكيان ممتد عوامله واحدة ودوافعه مختلفة، وقد دخلت إلى هذا العالم الرائع ولم استطع الخروج منه فتعلمت ان الحياة تعطي لمن يهب روحه إليها بالعطاء تمضي وبالتضحية تستمر.

تعلمت ان المعاناة لا يعبر عنها بالدموع فقط، تعلمت ان اكون تلك الرسامة التي تجعل الإحساس يشدو باللوحة وينمق الرسمة ويضع بها إحساسا يقرأه كل شخص بطريقته المختلفة التي تلامس وقع الحياة في قلبه.

يقول لها ساخرا: كفي عن الدراما وادعيني إلى معرضك القادم.

تقول له وهي تضحك: بالطبع فأنت من سيقص الشريط.

الفصل الثامن

((المشروع))

تمر الأيام واحدة تلو الأخرى على الرسامة الحالمة وعمرها الآن شارف على انتهاء الثلاثون لتدخل الحادي والثلاثون بعد أشهر، وكل انجازات حياتها تتمحور ما بين الرسم والسفر.

يحاول اباها كالمعتاد ان يشركها في العمل وان يعلمها خبايا العمل التجاري وحيثياته المختلفة فهو يتقدم في العمر وليس له وريث سواها، فلا يريد منها غير أن تساعده على تنمية مصدر قوته الذي بذل فيه الغالي والنفيس وكافح لكي يصبح مالك لأفضل سلسلة مطاعم في تلك المدينة، وأمله في ابنته يفوق عنان السماء فهي الوحيدة والغالية على قلبه والتي يرى نجاحاته فيها ويبني آماله عليها فهي من سيتحمل عاتق المسؤولية في الحفاظ على ثروته بعد وفاته.

ولكنه في كل مرة يتحدث معها يخيب ظنه فهي رسامة تجد نفسها بين عواطفها غارقة بين احلامها مترفة بين فرشاتها، لا تحب لغة الأرقام وانما تختار الرقم التي تريده وتضعه في اللوحة وليس الجمع والطرح او القسمة من حصيلة اهتماماتها ابداً بتاتاً البتة.

نشأتها على الثراء ودراستها لعلم النفس وحبها لهذا التخصص لا يجعلها ترى نفسها في مكان آخر فهي على الرغم من انها لم تعمل في مجال تخصصها لتضيف لرصيدها البنكي أرقامًا إضافية نهاية الشهر إلا ان عائلتها تريدها ان تعمل لكي ترى الحياة بشكل مختلف وتخالط الناس وتخرج من انطوائية المرسم التي قيدتها بين فرشاتها وألوانها فهم لم يصلوا إلى هذا الثراء وهم بتلك العزلة!.

لكنها في مرسمها ترى كل طموحاتها امامها فأصبحت ترسم وتبيع لوحاتها وتستثمر المبالغ التي تجنيها في الجمعيات الخيرية، فما تبيعه لن يجلب لها ربع احتياجاتها فهي تعتمد على والدها من هذه الناحية، ومن طهارة نفسها وصفاء قلبها تبرعها بقيمة اللوحات للجمعيات الخيرية لأنها تريد ان ترى السعادة على وجوه المحتاجين.

أصبحت لها زيارات وانشطة خيرية مستمرة وقد أخذت تلك الخصلة من والدها الذي بدوره يخصص جزء من قيمة الوجبة التي يبيعها في سلسلة مطاعمه الشهيرة ليعود ريعها للأعمال الخيرية ربما لهذه الأسباب نجد بأن مطاعمه ممتلئة دائما خصوصا بأن من لن يستطع دفع قيمة وجبته يأخذها مجاناً فهو يرد الجميل للمجتمع الذي نشأ فيه ورأى كل هذا الخير بين جنبات أحضانه.

كما هو الحال دائمًا، يتحدث أباها معها ويعود خائباً، فلم يستطع ان يقنعها بما أراد ولكنه لم يفقد الأمل، فتلك ابنته الوحيدة التي دائما ما يراهن في الحفاظ على ثروته وتنميتها عن طريقها فلم يخرج بهذه الدنيا إلا بتلك الرسامة فهو يريدها ان ترسم طريقاً للنجاح يكمل الطريق الذي انتهجه ويضيف لمشروعه الكثير والكثير.

الفصل التاسع

((الحادث))

في صباح يوم ممطر اجتمع الأب والأم مع ابنتهم المدللة للحديث معها بخصوص موضوع خاص يرغبون بإخباره لها، ولكنهم عاجزون عن ايجاد لذلك الموضوع طريقاً ولا مسلكاً ولا حتى وسيلة يستطيعون ان يبوحوا بأصغر تفاصيله فالموضوع اكبر من ان يقال في جلسة اجتماع ودائماً ما يشعرون بالعجز عن فتح هذا الموضوع امام ابنتهم الوحيدة فما يقلقهم هو الخوض في غماره بعد كل تلك السنين لابنتهم ذات الثلاثين عاماً.

الموضوع الذي يجب ان تعلم به ابنتهم هو أمر قد يدمر حياتها ويلقيها في جحيم العذاب، ولكن التأجيل والخوف من تبعات الموضوع وأثره عليها هو ما يقلب الموازيين في كل مرة! وكما هو متوقع تغير مسار الاجتماع ولم يخبروها بما كانوا يرغبون بإيصاله لها. ولكنهم قرروا أن يفاتحوها في الموضوع غداً بعد عودتها من معهد الفنون.

اثناء عودة الرسامة من معهد فنون الرسم الذي أصبحت تقيم دورات فيه، كانت تركب مع سائقها الخاص فهي لا تحب القيادة، ولكنها تحب ان ترى تفاصيل الأشياء وجماليتها اثناء ركوبها السيارة أو أي وسيلة مواصلات فحسها الفني يجعلها دائماً حالمة غارقة في التفاصيل بين واقعها الذي تعيشه وخيالها الخصب.

أثناء الطريق تصطدم مركبتها بمركبة اخرى وتنحرف انحرافا مخيفاً مما يجعل المركبة تنقلب انقلاباً قوياً وتتوقف عن الحركة وتستقر على قارعة الطريق وفجأة، تأتي سيارة مسرعة وترتطم بهم مجدداً، ولكن هذه المرة لطف الله بهم ولم يتعرضوا للانقلاب، وكانت السيارة ملاصقة للرصيف، فسائق السيارة المسرعة ضغط دواسة المكابح بقوة مما نحاهم جانباً.

نزل سائق السيارة المسرعة ليسعف من بداخل السيارة المرتطمة بالرصيف، لكنه وجد سيارة أخرى مهشمة غير السيارة التي ارتطم بها، وهي السيارة الأولى التي ارتطمت بسيارة الرسامة فأجرى اتصال سريع للإسعاف ونقلهم جميعاً إلى المستشفى.

وصل الخبر إلى اسرتها وسارعت امها بالذهاب للمستشفى وكان والدها في اجتماع وغالباً هاتفه يكون وضعية الصمت حتى يتفرغ للاجتماع ولا يتشتت.

وصلت امها وهي في حالة هيسترية فتلك ابنتها الوحيدة التي نادرًا ما تذهب بها إلى المستشفى فهي دائما في صحة جيدة وان مرضت فطبيب العائلة يأتيهم إلى البيت.

منظر الرسامة مغاير تماماً لأفضل توقعاتها فالحادث كان قوي وتعرضت لانزلاقات غضروفية لبعض فقرات الظهر ويداها مجبرة، ولكن الحمدالله فهي تستطيع التكلم بشكل بسيط بعد أن أفاقت من الغيبوبة التي تعرضت لها أثناء الحادث.

وبعد ربع ساعة من وصول والدتها إليها انتهى اجتماع الأب وأخذ نظرة سريعة على هاتفه ليرى اتصالات عديدة من زوجته، ينقبض قلبه خوفًا من حدوث مكروه فيتصل هاتفيًا بها وتخبره بالذي حدث لابنتهم ويذهب مسرعًا إلى المستشفى للاطمئنان على ابنته الغالية على قلبه فهي كمقلة العين التي يرى بها الدنيا.

الفصل العاشر

((فجائية مؤلمة))

تشعر الرسامة بالألم الشديد فهي لم تتعرض لألم قط كالذي تشعر به الآن فبعد الحادث اصابتها نوبة اكتئاب نتيجة ما تعرضت له، لم تكن تعلم بأن قوتها ومناعتها تجاه الألم النفسي ضعيفة إلى هذا الحد وبعد عشرة ايام خرجت من المستشفى وهي مكتئبة فلم تستطيع الأم او يستطيع الأب انتشالها من ذلك الألم النفسي على الإطلاق.

جلست على تلك الحالة ما يقارب الشهر حتى أن الأب فكر بعرضها على طبيب نفسي لكي يخرجها من تلك الحالة النفسية التي تتعرض لها الا ان الأم رفضت ذلك بشكل قاطع بحجة ان ابنتها قوية ولا تريدها ان تدمن على الأدوية النفسية او حتى تؤثر عليها مستقبلًا، فحالتها ليست مرض نفسي يحتاج للمتابعة او العلاج، ولكنها حالة عارضة وسوف تشفى منها ابنتها ان شاء الله.

لكن خروج الرسامة من المستشفى على كرسي متحرك لم يكن سهل الوقع عليها فلقد كانت تشعر بالحياة كل يوم وترقص بين لوحاتها كل ليلة منتشيه بالفرح عامرة بالسرور راقصة بين الجنوح.

لكن الايام مرت وتتابعت أحداث كثيرة غيرتها وصقلت دوافعها، سواء بالنسبة لطريقة سير حياتها الجديدة أو طريقة تقبلها لوضعها الجديد، ومع سوء الأوضاع الحالية تناسى والداها الموضوع الذي كانوا سيخبرونها به.

وبعد عدة أشهر من وقوع الحادث، يأتي فصل الربيع مختالًا يناديها، فالربيع هو فصلها المميز وما ان تسمع زقزقة العصافير التي لها لحناً خاصًا تنادي خادمتها لتخرجها من مرسمها الذي افطرت فيه بمفردها، فهي لم تعد تفطر مع أسرتها حتى في الربيع فنوبة الاكتئاب لها حكمها الخاص.

مع كل العقبات التي مرت بها وصعوبة مسكتها للفرشاة بسبب جبيرة يدها والتعرجات التي أصابتها إلا أنها مازالت ترسم، فالرسم بالنسبة لها الهواء النقي الذي لا غبار عليه.

تذهب إلى الحديقة وفي الطريق تتذكر الرجل صاحب النظارة السوداء فتصف للخادمة الطريق لمقعده المعتاد، وبينما هي تقترب من ذلك الكرسي إذ بها تراه فاتسعت حدقتا عيناها فرحًا وتغيرت حالتها بشكلٍ فاجئ خادمتها.

وجدته يجلس وبجواره كلبه وعصاه التي لا تعصيه ابداً، وحين رآها الكلب نبح بطريقة لطيفة وأسرع نحوها فهو يتذكرها، ولكنها لم تلقي للكلب بالًا فكل حواسها منشغلة بالوصول لذلك الرجل، وها هي تقترب نحوه وتناديه، وبعد ان سمع صوتها رفع عينه من الكتاب وابتسم ابتسامة خطفت قلبها، حال وصولها تصافحا واخبرها بأنه كان يتوقع قدومها ففصل الربيع هو فصلها الذي تعشقه، لكنه لاحظ شيئًا عند قدومها أخذ يفكر به للحظة كصوت عجلات الكرسي المتحرك وأيضاً مكان صوتها اختلف من الأعلى إلى الأسفل فسألها هل تحدثيني من على كرسي؟

تضحك لأنها لم تتوقع بأنه سيعلم ذلك وتتذكر بأن من فقد حاسة البصر تقوى لديه حاسة السمع.

فتخبره بالقصة كاملة، يشعر بالأسى حيال ما حدث لها ويحمد الله على سلامتها ويواسيها ويقول لها: من الجميل انكِ متماسكة ولن يصيبنا إلا ما كتبه الله لنا فتقول في نفسها لم اتماسك إلا حينما رأيتك فقد تعلمت منك الكثير.

في هذه اللحظة تمنت لو أن بإمكانها أن تلمس يداه وتقبلها وأن تحتضنه لداخل قلبها، فشعورها الرائع بالتحسن وكآبتها التي تشافت بمجرد رؤية صديقها الأعمى جعل اعجابها به يتحول إلى حب، أما هو فلا يزال يلقي عليها الطرائف والقصص الفلسفية المضحكة التي تبين في بعض الأحيان الأخطاء التي وقع فيها الإنسان بطريقة غبية وهي تضحك وتقهقه بكامل عفوية اللحظة فأحاديثه مصدر سعادة بالنسبة لها واللقاء معه راحة لها وكأنها تشاهد فيلم كوميدي وهذا هو سبب انبعاج شرارة الحب من قلبها نحوه ولكنها لا تعلم ماذا يكنّ لها.

شخصيته وأسلوبه في التعامل بعيد كل البعد عن هدوء تلك الرسامة، فسمات شخصيته تتسم بالقوة والعنفوان والهيبة. بالرغم من انه ضرير إلا انه حينما تجلس معه تستمتع بكل ما يدور حولك حتى انه يمازحها أحيانًا ويقول لها انظري هناك! وتستغرب أهل يرى شيئاً؟! ثم تسأله وماذا هناك؟ فيقول لها لا اعلم فأنا لا ارى لماذا تسألينني انا الذي يجب على ان اسألك، فتضحك لطرافته وتصف له المكان فيشكرها. هو بتلك الطريقة يأخذ تفاصيل المكان بطريقة لطيفة فكاهية لا تشعره بالنقص، فكبرياءه عزيز ولا يحب أن يشعر بفقدان بصره في أي أمر كان حتى ان بنيته رياضية ويتمرن يوميا فجسمه ممشوق وعضلاته بارزة البروز الذي يتماشى مع جسمه والطريف انه يحب أن يمارس بعض الألعاب الرياضية التي لا تتطلب الرؤية، رأته في يوم ما يتحدى شخصاً في لعبة المكاسرة وهي لعبة معروفة على شكل تحدي بين لاعبين حيث يضع كل لاعب يده على سطح مستو مستندًا على كوعه محاولًا يسقط يد الآخر للسطح، وفعلًا انتصر. أخذت تشاهده وهو يتغلب على خصمه فتبتسم ابتسامة عريضة وهي تقول في نفسها لم أر إنسان بتلك الحيوية في حياتي فالمرسم الذي قضيت فيه حياتي أخذ من حيويتي الكثير يجب علي أن أرى العالم وها هو العالم أمامي فقد أعجبت به واحببت اختلافه الكلي عني.

الإنسان عادةً لا يحب شخصاً يوازيه كنسخة مكررة عنه فوجودها بجواره متعة لا تضاهيها متعة، نوع تلك العلاقة يشعرها بالأمان فالرجل لا يعرف بوضعها المادي كما أنه لم يأخذ رقمها ويزعجها باتصالاته بعد، على الرغم من أن لديه هاتف ولو أراد لأضافها لقائمة الأسماء لديه ليتصل بها فيما بعد بالأوامر الصوتية فالتقنية سهلت على الناس الكثير، فهو انسان اجتماعي يحب أن يتواصل مع أصدقاؤه، كما أن أهله عند رغبتهم في الاطمئنان عليه يرسلون له رسائل صوتية.

هو يحب الحياة ويحب أن تحاوطه حياة الصخب والناس، هو لا يحب المكوث في المنزل إلا وقت العمل، أما وقت القراءة فيحب ان يقضيه مع كوب قهوة في الحديقة وأحيانًا في المقهى المجاور لمنزله.

بخصوص عمله فهو يعمل في مجال الصوتيات نظرًا لما حباه الله من صوت إذاعي جميل، فتأتيه طلبات الكتب المطلوب منه تنفيذها على البريد الإلكتروني، فيعطيها لشخص مختص يحولها لغة برايل ومن ثم ينفذها بصوته ليتحول الكتاب الإلكتروني لكتاب صوتي مسموع.

كما أنه كثيرًا ما يكون ضيفًا في حوارٍ إذاعي مع مقدمي البرامج سواء المرئية أو المسموعة، وأحيانًا يكون هو المذيع المستضيف، فأسلوبه في إدارة الحوار وطريقته في طرح الأسئلة والتواصل الفعال مع الآخرين سلس ومحبوب من الجميع، فمخالطته لكثير من الشخصيات جعلته يتقن اسلوب الحوار بتلك الأريحية.

تمضي معه نصف ساعة مليئة بالأحاديث الممتعة لم تشعر فيها بمرور الوقت، فتتدارك نفسها وتستأذن منه بعدها لكي تتجول في الحديقة.

في طريق العودة للمنزل، تلاحظ الخادمة كيف تحسنت نفسيتها بمجرد رؤيتها لذلك الرجل وكأنه الجرعة الشافية لها وكأن شيئاً لم يكن، ولكنها لا تستطيع التحدث معها في خصوصياتها.

تدخل الرسامة البيت وهي تشدو بعض الألحان وتنادي أمها لتسألها: ماذا سنأكل على الغداء؟ تبتسم الأم وتدمع عيناها وتحضن ابتنها وهي لازالت في حالة ذهول وسعادة، وتردف قائلة: كنتُ اعلم بأنك ستعودين إلى طبيعتك التي اشتقت اليها وتقبلها قبلة حنونة على جبينها ثم تسألها ماذا تشتهين على الغداء؟ فتخبرها بأنها تشتهي السمك الممزوج بالأعشاب في الفرن كما كانت تعده وهي صغيرة. فتنادي الأم على الطباخة التي علمته تلك الوصفة جيدا حتى تعدها ثم تستدرك نفسها وتقول: انا من سيطبخ لكِ تلك السمكة يا حبيبتي.

قبل أن تنشغل الأم في المطبخ، تجري اتصالاً بالزوج لتخبره بالتغييرات السارة على ابنتهم. يسعد الأب بهذا الخبر ويقول لزوجته: إن ابنتي قوية وكنت أعلم بأنها لن تتأخر أكثر من ذلك في العودة في لحياتها فلوحاتها لوحدها من أقوى مضادات الاكتئاب التي وصفتها لنفسها، حسها الهادئ والشاعري لن يجعلها متبلدة المشاعر غارقة في الاكتئاب لفترة طويلة إنها ابنتي وأنا أعلم بأنها سوف تكون في يوم من الأيام الوريثة الوحيدة لما املك وهي من ستقود الدفة من بعدي ولا أحد سواها تبكي الأم بعاطفتها الجياشة وهي تتخيل ابنتها الوحيد وهي في قمة نجاحاتها مع أبيها وتقول له إن شاء الله إن شاء الله.

الفصل الحادي عشر

((ولادة حياة أخرى))

تغير حالها كثيرًا بعد رؤية الرجل ذو النظارة السوداء ومع جلسات العلاج الطبيعي المكثفة والمستمرة تتماثل للشفاء وترجع إلى كامل حيويتها المعهودة وكلها امل وحياة ولكن هناك موضوع شغل بالها في الفترة الأخيرة، ودائمًا ما كانت ما تتجاهله وهو شعور الأمومة فمثلها مثل أي فتاة في مقتبل العمر تتمنى بأن تصبح أماً تلهو مع ابنائها وتربيهم وتعلمهم، ولكنها دائماً ما كانت تتجاهل ذلك الشعور فمرسمها كان اقوى من اي شعور للأمومة يخالجها، أما الآن و بعد تعرضها للحادث وتعرضها لنوبة الاكتئاب، وربما حينما رأت صديقها الأعمى وبعدما أحبته وأرادته أبًا لأبنائها قد تجلى هذا الشعور، ولقد كانت دائمًا ترفض كل من يتقدم لها للزواج ولا تهتم بهذا الموضوع أبداً، على الرغم من ان شعور الأمومة كان يراودها كفطرة انسانية ولكن كانت تضع جل مشاعرها في الرسم وتجسيد اللوحات، لأنها كانت متخوفة من أن تنشغل عن فرشاتها وألوانها أو أن يعبث أطفالها بمرسمها التي عاشت فيه عمرها. وقوعها في غرام ذلك الرجل أيقظ شعور الأمومة الذي يكتنفها.

دائماً ما كانت الرسامة تحكي لأمها عن صديقها الأعمى وكانت متخوفة منه بحكم أنها لم تتعرف عليه بعد، ولكن حينما علمت الأم بأنه سبب تحسن حالتها تقبلت ذلك الرجل، ولكنها في نفس الوقت لم تكن تدرك مدى أهميته في قلب ابنتها، ولم تأخذه على محمل الجد لأنها لا تتمنى لابنتها رجل ضرير مهما كانت مزاياه فابنتها لن تأخذ إلا ما يوازي ثرائها ووضعها الاجتماعي على أقل تقدير.

الأم لها نظرة خاصة دائمًا ما يختلف معها زوجها في كثير من الاحيان، ولهذا طلبت الأم من ابنتها دعوة صديقها على وجبة الغداء في قصرهم، فهي ممتنة لذلك الرجل الذي انتشل ابنتهم من يأسها المفرط بعد وقوع الحادث.

وبالفعل ذهبت الرسامة إلى الحديقة لتقابله ودعته لتناول طعام الغداء في منزلهم، واقترحت عليه أن يأتي سائقها غدًا للحديقة ليقله للمنزل، ولكنه رفض رفضاً فهو يفضل أن ترسل عنوان موقع المنزل إلى هاتفه وهو سيتبع الأوامر الصوتية ويذهب إليها عن طريق خرائط جوجل برفقة كلبه. فهو دائماً يعتمد على نفسه في كل شيء وكله ثقة بكل خطوة يخطيها متوكلاً على الله وربما هذا السبب الذي جعل الجميع يكنون له احترامًا خاصًا. سجلت رقم هاتفها في هاتفه لكي يتصل بها حينما يقترب من منزلها وودعته.

نامت الرسامة وهي تفكر بالغد، ماذا سترتدي؟ كيف ستتزين؟ كيف ستستقبله؟ هل تستقبله بالورود كنوع من الشكر، أم تكتفي بالمصافحة والترحيب اللطيف؟

أتى الغد واشرقت شمس يوم مليء بالبهجة بالنسبة لها، استيقظت وهي تدندن بأجمل الألحان، استعدت بكل ما تعرفه عن الأناقة والجمال، و تأكدت من أن كل شيء على ما يرام، رن هاتفها وكان صديقها المنشود هو المتصل، أخبرها أنه أصبح قريبًا من المنزل ففتحت له باب المنزل ورحبت به واستقبلته الأم أيضًا بكثير من عبارات الحفاوة، أما الأب فلم يستطع الحضور فقد قدم اعتذاره مسبقا، لأن لديه أمور مهمة في عمله، منها أن عليه العمل على تقديم إعلان عن ميزانية الشركة السنوية في أقرب وقت، فهو ما بين الاجتماعات والتقارير وخلافه.

وبالتأكيد الرجل الذي انتشل ابنته من حال إلى حال يجب ان يكرم ويعامل بأفضل طريقة ممكنة، فأمر أحد فروع مطاعمه أن ترسل لمنزله وجبات مختارة ومنتقاة بعناية، وكأن الطعام المقدم من مطعمه يمثل هويته الخاصة في التعريف عن نفسه.

حوارات ماتعة يملؤها حس الفكاهة ما بين الرجل الأعمى والأم والرسامة، يمضي الوقت سريعاً تستأذن أمها بأن تستضيف صديقها في مرسمها الخاص لتريه جديدها في الرسومات التي رسمتها بالقهوة. تمسك بيده وتقوده لعالمها الحالم وحال وصوله عند عتبة الباب يأخذ نفسًا عميقًا ويدخل وهو يستنشق عبير المكان وجمال أجواءه. تشرح له المرسم وترتيب مكان كل الأشياء. يسألها عن الرسومات فهو متشوق إليها، فيلمس تلك الرسومات بارزة المعالم بالقهوة الواضحة الملمس ويعطيها تحليلاته وتصوراته، وفي اللوحة الأخيرة كانت الرسمة عن طفلا هارباً من منزله عمره ما بين الثانية والثالثة من عمره فيخبرها بتلك الكلمة التي فاجئها بها "كل شيء يأتي في الوقت المناسب" لا تقلقين يا عزيزتي. تفسيره السريع للوحة بطريقة يخبرها فيها عما تشعر به ورده المفاجئ جعل العبرة تغصها ومن ثم تلمس يده وهي في قمة مشاعرها تجاهه وتخرج معه من المرسم إلى الحديقة العامة.

الآن هي الساعة الخامسة والنصف وهذه هي الساعة التي عادة ما يكون متواجد هو في الحديقة العامة ولهذا أخذته إلى هناك، لتدور بينهم أحاديث مختلفة هذه المرة، تارة يتحدثون عن الحب واخرى عن الحياة والأحلام وتجد نفسها بين احاديثه هائمة وكأنه يسقيها كأسًا تروي به كل أفكارها وتزيد من ثرائها، أثناء تلك الأحاديث الماتعة تتمنى لو تستطيع أن تفصح بما تكنه له وتقول له "احبك"، فهو من بعثر كيان رسامة ولا احد استطاع أن يحتوي تلك الرسامة بذلك الحب الذي انعكس عليها من أحاديثه الحصرية، فهو مبدع في تواصله معها ومعرفة جميع حكاياتها حتى اصبحت تقول له كل ما كانت تخفيه عنه أو تحتفظ به لنفسها ولا تخبره لأحد، إنه الارتياح الذي جعلها تثق به وتعامله باحترام وحب وتتمنى ان ترتمي في احضانه وهو يحرك خصلات شعرها بين ذراعيه.

بعد يوم مرهق، رجع الأب للبيت، سلمت عليه الأم وأخذت منه المعطف، وحضرت له طعام العشاء، وأثناء تبادل الأحاديث أخبرته بما حصل مع ابنتها وبأنهم يجب عليهم ان يخبروها بما اجلوه بسبب الحادث.

تقول الأم: لقد كبرت ابنتنا التي اعطيناها جميع ما نملك، ولكن اتى الوقت لكي نخبرها بأنها ابنتنا بالتبني، وأننا وجدناها أمام ذلك المسجد وهي بين الحياة والموت، واسعفناها وقررنا بأن نعتني بها. لقد أكرمنا الله بها في وقت كنا نحتاج فيه إلى طفل يلعب بيننا بعد خمسة سنوات من عدم الانجاب، ها قد كبرت أمام أعيننا وغنينا لها وفرحنا بها كأنها ابنتنا، فقد أحببناها وكتبناها باسمنا وخالفنا القانون بتلك الغلطة ولكن هذا ما فعلناه لكي تكون الوريثة الوحيدة لما نملك فإن لم نسجلها رسميًا باسمنا سيجحدها المجتمع ولن يتعاطف معها أحد، ولن يكون لها حق الميراث، فهي ابنتنا بالتبني ولكننا أردنا ان تمتلك كل شيء بنيناه لها، يجب ان نخبرها بأن سكوتنا هو إحساس بمسؤوليتنا تجاه مشاعرها ولا نريد ان تشعر نقص وبأنها لا تنتمي لنا بأي حال، نريد ان نوضح لها حبنا لها وبإنها وان لم تكن ابنتنا التي من صلبنا هي كل شيء نملكه في هذه الدنيا.

ومن حسن حظنا، لا أحد يعلم حقيقة الأمر سوانا، فالمجتمع له نظرة ظالمة لن تتغير أبداً ويجب علينا تقبل هذا الشيء، قد يكون المجتمع الغربي اكثر انفتاحاً وتقبلا منا في هذا الموضوع ولكنه واقعنا الذي فرض علينا وليس لنا ذنب فيه.

تنهي الأم حديثها بالبكاء وتحتضن الأب بقوة وتقول له: لا أريد أن أموت قبل أن أرى ابنتي بثوب زفافها مع من تحب وأن أرى أحفادي يملؤون حياتنا، يربت على كتفها ويقول لا تقلقي الأوقات العصيبة ستمر سريعاً وسوف تتقبل ابنتي ما أخفيناه عنها مع الوقت.

ينامون تلك الليلة وكلهم حيرة في طريقة اخبارها بالخبر! فمن الصعب ان تخبر فتاة تبلغ من العمر واحد وثلاثين عامًا بأنها وُجدت بتلك الطريقة التي لم تكن تعتقدها في اسوأ احتمالاتها.

لن يخطر ببالها يومًا أن تلك الطريقة كانت هي نقطة الوصل بين العائلة الثرية واللقيطة التي اخذت بتلك الطريقة التي نزعت منها الإنسانية في ترك رضيعة أمام باب المسجد في ليلة باردة قبل آذان الفجر!

سرعة استجابة الأب وطريقته في حماية الرضيعة بالانتقال من منطقته القديمة إلى منطقة جديدة لا يعرفه فيها أي أحد الحي لمدة سنتين هو وزوجته ثم الرجوع إلى مدينتهم مرة أخرى، بدد كل الشكوك تجاه تلك الرضيعة، فكل شيء أدير بطريقة منطقية حتى كتابة الابنة باسم والدها.

ولكن بطريقة او بأخرى يجب ان تعلم ذلك حتى وإن كانت مسجلة باسم أبيها وجميع الأمور نظامية فهم لا يريدون أن تعيش ابنتهم في خدعة وإن كانت نواياهم سليمة في دافعهم لتبني تلك الرضيعة الملقاة على عتبة أحد المساجد.

الفصل الثاني عشر

((الصدمة))

بعد وجبة الغداء اجتمع الأبوان والرسامة وأخبروها بالقصة كاملة، في بادئ الأمر ظنت أنها مزحة يريدوا أن يعرفوا درجة محبتهم، ولكن عندما نظرت لأعينهم ورأت فيها الصدق انهارت باكية، لم ترفع عينيها عن الأرض ولم تتوقف دموعها من الانهمار، كانت تشعر بالدوار والصدمة التي تطبق على أنفاسها، ضاقت عليها الأرض بما رحبت وفقدت النطق! لم تستطع قول أي شيء، بالرغم من ألم الأم والأب على منظر ابنتيها إلا أن لا خيار أمامهم، ربما يكونوا قد تأخروا في موعد إخبارها بالحقيقة، ولكنهم حاولوا أكثر من مرة ولم يستطيعوا.

كانت تتساءل لماذا لم يخبروني في الماضي من أكون أو ماهي حقيقتي؟ لماذا أجلوا الموضوع إلى هذا الوقت؟ ولكنها ظلت صامته تخرج الكلمات من جوفها صماء لا صدى لها، كانت الكلمات تتردد في داخلها فقط.

أخبروها بأنهم لا يريدون ان يشعروها بالنقص وأنها بنتهم وأنه ليس هناك فرق فيما لو تبنوها او إن كانت ابنتهم من صلبهم، فالحب والثروة كلها لها، ولكنها لم تستطع سماع المزيد وذهبت تركض الى غرفتها تبكي بحرقة حتى نامت.

أثناء نومها حلمت حلم غريب تدور أحداثه حول والدها، رأته مريض على السرير الأبيض وقد أصيب بنوبة قلبية أثناء ساعات العمل، لقد أخبرها مرارًا بأنه كبر ويحتاج إلى من يساعده حتى لا يموت ويأتي إليهم الفقر ضيفاً ثقيلا، فأمها ربة منزل على الطريقة التقليدية دون اهتمامات وظيفية أو طموحات عالية فحياتها هي أسرتهم الصغيرة وأما ابنتها فقد يأس والدها من محاولة تعليمها أصول وفصول تجارته دون إبداء أي رغبة منها في دخول عالم المال والأعمال.

استيقظت من نومها في الصباح محاولة نسيان ما حصل في الليلة السابقة، وأثناء وجبة الإفطار مع عائلتها أخبرتهم بخبر سعيد، لقد قررت أن تتعلم العمل مع والدها وتمسك زمام الأمور، استقبل الأب الخبر بحفاوة كبيرة وكاد أن يرقص فرحًا من تلك اللحظة التي ينتظرها منذ زمن.

بعد الإفطار كانت مستعدة للذهاب إلى مقر إدارة الشركة وهناك عرّفها والدها على الموظفين وكيفية إدارة العمل الخاص، وبعد انتصاف ساعات العمل أخذها والدها في جولة للمطاعم الخاصة بهم ليُريها تطبيقياً كيف تُنتَج الوجبات وشروطها ومعاييرها، وبعد الانتهاء من الجولة عادت الى البيت مع سائقها الخاص وهي منهكة، فهي مدللة ولم تعتاد على كل تلك الأمور بعد.

أكمل والدها ساعات العمل حتى الساعة الثامنة مساءً، وغادر مبكرًا فهو معتاد بأن ينتهي في العاشرة مساءً ويعود إلى البيت لتبقى ساعتان يقضيها مع أهله قبل النوم، لكنه في هذه المرة أراد ان يتحدث مع ابنته ويسمع انطباعها عن الشركة.

بعد تناول وجبة العشاء يجلس الأب مع ابنته وكله فخر بها وبحماسها للعمل في الشركة، فتخبره بأنها قررت أن تأخذ دورة في المحاسبة لأنها تريد أن تتعلم كيفية الحسابات حتى وإن كان هناك قسم مالي في الشركة ويختص بالمحاسبة إلا أنها تريد أن تعرف كل شيء يدور حولها. فرح الأب على هذه الخطوة وأيقن تمامًا بأنها سوف تدير الشركة بأفضل الطرق التي تؤدي إلى استمراريتها ونجاحها يعلم أن ابنته تعشق التفاصيل وأنها دائماً ما تحب انجاز لوحاتها على قدر عالي من الدقة لذلك نظرته لمستقبل الشركة مع وريثته يعكس الكثير من الأمل وبأن ابنته سوف تكون خير خلف لمسيرة طويلة قضاها بعناء ومشقة حتى استطاع تكوين تلك السلسة والثروة.

في اليوم التالي، تستيقظ مبكرا وتذهب إلى المنشأة التعليمية وتتعلم كل يوم شيء جديد وتقسم وقتها ما بين الإدارة والذهاب إلى المطاعم حتى تكاد أن تنسى الرسم والمرسم إلا أنها أجلت عشقها للرسم إلى حين آخر، فلا يستطيع الإنسان أن يتأصل من نفسه بغتة.

طريقة الأب في تعليم ابنته العمل كانت تتلخص في استخلاص فكرة عامة عن العمل بشكل عام ثم عن جميع الأقسام بشكل خاص، وذلك بالعمل لمدة شهر لكل قسم بمعدل ثماني ساعات يومية، ثم الذهاب في زيارة استكشافية للمطعم لمدة ساعتين أو ثلاثة بحسب طاقتها وكل فترة تغير المطعم الذي تزوره لكي تدون الملاحظات أو تدلي بتقارير وأفكار تفيد تطوير سلسلة المطاعم بما يتوافق مع رؤيتهم.

أصبحت حياتها مليئة بالعمل، تغيرت شخصيتها تغير جذري ولم تكن تتخيل بأن ذلك الحلم هو سبب التغير. قد يكون الحلم إشارة للبدء! قد يكون نداء والدها لها واحتياجه إليها في الحلم هو ما دفعها إلى التغيير، فهي تحب والدها كثيرًا وتعرضه لنوبة قلبية ووفاته في الحلم أقلق مضجعها فحاولت جهدها بأن لا يتحقق ما رأته في الحلم، وذلك بتخفيف العبء عن والدها والعمل معه ومساعدته، فكل شيء لها ولم يتعب والدها في الشركة ويكد إلا من أجلها هي ووالدتها، فلا تعلم ماذا يخبئ لها الزمن في جلبابه خصوصاً بعد تلقيها خبر الصدمة عن ماهيتها لذلك قررت الانطلاق فالحياة تعطي لمن يعطيها ومن يفوته القطار ستفوته الرحلة انتظاره لرحلة أخرى قد يكون مكلف إرادت أن تطوق ثروة والدها التي وهبها لها هو دافعها للنهوض بنفسها من تلك الصدمة والعودة للحياة الحقيقية العملية الخالية من الأحلام فالواقع هو مرآة المستقبل فالمستقبل يمنح النصيب الوافر للمجتهدين المثابرين.

الفصل الثالث عشر

((العمل والمرسم))

بعد ان استنفذ منها العمل كامل طاقتها تأتي في يوما ما إلى المنزل وهي منهكة وتتوجه لا شعوريا نحو المرسم وترمي نفسها نحو كرسي الراحة الموجود هناك وتغفو، في العادة تغفو قليلا في الأسفل إلى ان توقظها امها لكي تذهب إلى غرفتها ثم تطيل تلك الغفوة إلى ان تستيقظ على جرس المنبه وتصحو من النوم ثم تتساءل ما الذي جاء بي إلى هنا؟ تذهب إلى غرفتها ثم إلى الحمام؛ لتأخذ حمامًا دافئًا وتجهز نفسها للدوام، تفطر مع عائلتها الفطور الصباحي وتذهب مع أبيها إلى الدوام كالعادة وهي في الطريق، لا زالت تفكر في مرسمها وأنها هجرته إلى اجل غير مسمى تشتاق يداها إلى الفرشاة وإلى الألوان وإلى البن والرسم بالقهوة تلك التجربة التي لن تنساها تسرح بعيدا نحو مرسمها، يتحدث اليها والدها وهي لا تسمعه لأنها شاردة مع رائحة الوانها وأشعة رسوماتها وحنين احلامها حتى يطرق على كتفها فنتبه وتعتذر منه فيقول لها: ما الذي يشغل تفكيرك؟ فتخبره بأنها اشتاقت للرسم ويخبرها بأن هناك أولويات أهم في الفترة الحالية ويوضحلها بأنه يحتاجها في البداية لكي تتعلم كل شيء وبعدها ترتب اوقاتها للعمل والرسم، تفرح بكلامه وتوافقه في رأيه. يصلوا إلى مقر الشركة على الوقت المحدد وتجتهد في العمل علّها تستعيد فرشاتها بسرعة أكبر.

تجربتها في العمل علمتها أشياء كثيرة، والتحدث مع الناس أخرجها من انطوائيتها في المرسم وانعزالها عن الناس اصبحت انسانة اجتماعية وكل يوم تتحسن مهاراتها وقدراتها الشخصية والعملية والاجتماعية ايضا امضت قرابة السنة في العمل والتعلم، وكانت تجربة رائعة لها ابدعت فيها على نحو غير متوقع منها كرسامة، واصبح جميع الموظفين يكنون لها ولاًء خاصاً بها فهي دائما معهم وتقف إلى جانبهم مثلما تعلمت من والدها الذي جعل محبة الموظفين وارتياحهم بالعمل شيء أساسي، ونظرا لما تتمتع به من حس فني حرصت على تجديد الديكورات واضافت لمستها الفنية الخاصة وابدعت في تلك اللمسة فاصبح المكان متناسق أكثر كما أنها جددت الهوية البصرية مما عطي طاقة ايجابية للعمل فهدوء الألوان واختياراتها له جعل المكان يسر الناظرين ويحمس العاملين للعمل والعطاء اصبحت تتفنن في كل جزء في الشركة وتستمتع بجميع التفاصيل الممكنة فيه وادركت تمام الإدراك بأن كل شيء له مفتاح حتى وان كانت لغة الأرقام لا تعجبها ستجد فيها شيئا يجعلها تتفوق على نفسها وتحب العمل ولكن كل شيء له طريقته الخاصة في المزج بين رغباتنا ودوافعنا تجاهه لكي نجيده او نتقنه.

حان موعد إعلان ميزانية الشركة، وبالفعل تم اعلان الميزانية من قبل المدير المالي وتبين أن هذه السنة حققوا أرباحًا مختلفة عن كل عام أدركت بعدها بأن العمل يحتاجها ولن تفرط في أي لحظة تستطيع ان تقدم فيه شيئاً لهذا الكيان العظيم الذي أصبح جزء من ثقافة المنطقة فجميع السياح القادمون يسألون عن المطعم فور وصولهم، وحتى حينما يسافر أهل المنطقة يشتهون وجبات المطعم اللذيذة والممتعة فاصبح لهم طابعهم الاستثنائي نحو جميع من يأكل في مطعهم الرائد.

فرحة عارمة تطوق أسرتها على ما حققته في الشركة التي تدير مطاعمهم وأفكارها التي وضعتها لتطوير سلسلة المطاعم والأرباح العالية التي حققتها بجدها ومثابرتها وافكارها النيرة فتخصصها في علم النفس سهل لها المهمة بأن تكون لها طريقتها الخاصة في إسعاد جميع الموظفين في الشركة فمن ضمن افكارها التي طبقت بالشركة جدولة اعياد ميلاد الموظفين والاحتفال بها في قاعة خاصة مع جميع الموظفين وأسرة ذلك الموظف مما يجعله يشعر بالفخر تجاه نفسه امام اسرته وقد أعطى الموظفين سعادة التقدير الخاص وهي تلقي له كلمة وتشكره على ما بذل في الشركة وفي الكلمة تقول: "العمر الذي اقتطعتم منه اوقاتكم واخترتم العمل في منشأتنا هو بحد ذاته مناسبة تستحق بأن نحتفل بها فأوقاتكم نقدرها ونحتفل بكم حينما تكبرون مع الشركة وذلك مصدر فخر لنا".

الجميع بلا استثناء أحب بنت التاجر على عطائها ودعمها وحبها للعمل وايضًا طريقة ادارتها المميزة وقد وصل ولائهم إلى مرحلة بأن لا يريدوا إلا هذه الشركة مهما قُدِّمت لهم الحوافز او المميزات فالراحة والتقدير اهم من كل شيء وحتى رواتبهم بالنسبة إلى الشركات الأخرى لا بأس بها.

في كل نجاح تنجحه الرسامة تتذكر نجاحاتها في مرسمها وفي المعارض التي كانت تشارك فيها وكأن هناك غصة في قلبها تجعلها تشتاق وتتألم للحظاتها الممتعة التي سرق العمل منها كل فرشاة وكل لون.

الفصل الرابع عشر

((الإجازة))

بعد العمل المضني الذي حقق نتائجه الباهرة يأتي وقت مستقطع للراحة فيُحضّر الأب لعائلته الصغيرة مفاجأة جميلة رحلة إلى الولايات المتحدة الأمريكية وهو يريد لابنته ان تستمتع بتلك الإجازة وايضًا يريد بطريقة او بأخرى ان ترى التطور والتوسع الذي هناك وان يلهمها هذا الشيء مع حماس الشباب الاستثمار في سلسلة مطاعمهم الخاصة لكي ترتقي وتصبح عالمية مثل بعض المطاعم الأمريكية العابرة للقارات.

تسعد الرسامة بهذا الخبر وتخطط البرنامج في جدول الرحلة وسعت أن تزور أشهر المتاحف والمعارض الموجودة هناك فدخولها في مجال الأعمال التجارية وسع لها الآفاق فهي تريد ان ترى تاريخ الإنسان وحضارته ومقتنياتها القديمة ومراحل تطوره، ولا بأس بكثير من اللوحات الفنية المعروضة في المتاحف المختلفة.

حسها الفني يرافقها في كل دقيقة من عمرها فجمالية الفن هو استشفاء لروحها من تعثرات الزمن.

تقلع الطائرة ومعها أحلامها في مهب الرحلة نحو أفكارها التي تحتاج إلى مصفوفة تختزلها، انشغالها في العمل انساها الخبر الذي تلقته كالصاعقة في كونها لم تمت بصلة إلى هذه العائلة ثم اخذت تفكر طوال الرحلة ما هو اسوأ شيء سوف يحدث في الكون بأنها ليست ابنتهم الحقيقية فقالت ليس هناك ما يدعو للقلق فأنا مسجلة باسم والدي الذي رباني وان حدث شيء بعد عمر طويل واخذ الله امانته فسوف اكون انا وامي الورثة لما كتبه الله لنا وأما بخصوص حلم أمومتها فقد تخيلته مع صديقها الأعمى الذي تستمتع بكل لحظة معه وتتمنى ان تجتمع معه تحت سقف واحد، وان تنجب اطفال يشبهون حيويته فتملأ البيت حياة وقد تغيرت نظرتها لمرسمها بل تخيلت نفسها وهي تعبث معهم بألوانها وتعلمهم الرسم ويلطخونها بالألوان ربما تأثرت بصخب ذلك الرجل وعنفوانه تجاه الحياة وتخيلتهم ينيرون ذلك المرسم بطاقة الحياة ونافذة الأمل .

ثم هبطت الطائرة بسلام إلى بلاد العم سام أرض الفرص والأحلام والأمنيات.

الفصل الخامس عشر

((العم سام))

بعد وصولها إلى الولايات المتحدة الأمريكية وبعد رحلة طويلة تذهب للخلود إلى النوم من إرهاق الرحلة المتعبة.

وحينما تستيقظ صباحاً، تفطر مع أسرتها في بوفيه الفندق المتنوع وتتناقش فيما سيفعلونه اليوم.

قررت الأسرة الصغيرة أن يذهبوا إلى حديقة الحيوانات فمنذ زمن طويل لم يذهبوا إليها منذ طفولة ابنتهم، أرادوا بهذه الجولة تغير الروتين اليومي من مشاهدة البشر يوميا إلى الذهاب إلى عالم يختلف عن بشريتهم التي تعودوا عليها في جولة سفاري ممتعة يتذكروا فيها ابنتهم الصغيرة التي لا تكبر في اعينهم وهم يذهبوا بها في وقت سابق إلى حديقة الحيوانات وانها الآن كبرت واصبحت هناك لغة للخطاب بينهم رائعة ففي السابق كانوا يشرحون لها انواع واشكال الحيوانات اما الآن هي من تشرح اخر المستجدات في الحياة الفطرية فمن قنواتها المفضلة عالم الحيوان هي تحب الحيوانات وان لم تمتلك قطة او كلباً فالرسم بالنسبة لها يجسد الكون كله لها وبعد مشاهدة الحيوانات هناك عرض سباعي الأبعاد، فالتقنية أصبحت متسارعة إلى حد مخيف، ففي العرض الحيوانات تتحرك كأنها تعيش معهم، ايضا هناك رذاذ من الماء والهواء القوي والرائحة ايضا لذلك هي بالمجمل تقنية فريدة من نوعها ولكن تحتاج إلى قلب قوي فيمنع وجود اصحاب أمراض القلب أو الضغط او السكر.

ينتهي العرض وتلتقط الصور التذكارية، وينهوا تلك الجولة الممتعة ويذهبوا إلى الفندق.

في وقت العشاء يصطحبهم الأب إلى مطعم مقارب لما يقدمونه في مطاعمهم لكن الفارق أن تلك المطاعم لها فروع في جميع انحاء العالم وهو بذلك يلمح لابنته بأنه يريد أن ينتشر مطعمه ويتوسع في مدارات العالم أجمع ولكن بطريقة لطيفة دون ان يتحدث بذلك في فترة إجازتهم وقد فهمت ابنته إلى ماذا يرمي فبعد تناولهم الوجبة وعودتهم إلى الفندق مجدداً للنوم حدثت أبيها بأنها تريد بأن يصبح مطعمهم كالذي تناولوا فيه وجبة العشاء وتقول له أن المطعم الذي كنا فيه له فروع في مدينتنا أيضاً ما السر الذي يجعلنا عالميين الانتشار.

فيقول لها بأن هذه التجربة التي لا يريد الخوض فيها لكي يحافظ على اسمه خوفاً من أن تختلف معايير مطعمه من بلد إلى بلد ولكنه في نفس الوقت يبحث عن الحلول لخوض هذه التجربة.

فأخبرته ابنته بأنه لا شيء مستحيل فنحن فعلناها في بلدتنا وتوسعنا في الوطن ونستطيع أن نفعلها في أي مكان، واقترحت عليه بأن يتعاقد مع شركات استشارية مختصة في هذا المجال وبما انهم في بلاد العم سام فسوف يجدوا أفضل وأقوى الشركات التي تفيدهم وتعطيهم الريادة لما يحلمون له ويطمحون لتحقيقه بالطرق السليمة وفق أفضل المنهجيات وأدقها.

وتبدأ رحلة البحث عن الشركات المناسبة وايضاً عن وكيل يمثلهم ويأخذ اسمهم ويعمل به وفق شروطهم وتكون الأرباح بالنسبة التي يتفقون عليها لم تكن تتوقع انها في فترة اجازتها سوف تعمل، ولكن حبها للعمل ولتحقيق أحلام والدها والظروف التي مرت بها مؤخراً جعلها شعلة لا تنطفأ في الجد والمثابرة والعطاء فهي ترى نفسها في هذا المشروع وترى أحلام أسرتها قائمة على هذا المشروع الذي أفنت فيه اسرتها شبابها في تلابيب المطاعم التي تدر عليهم الأموال وتحقق لهم طموحاتهم وآمالهم.

اثناء تجولها في الشوارع ترى صورة لستيف جوبز مؤسس شركة آبل وفي نهاية الشارع مكتبة تقرر الذهاب إليها لتشتري كتاباً خاصاً بسيرته علَّ ذلك يلهمها في موضوع التوسع الذي يسعون له، فجوالات الأيفون غزت العالم بأجمع وما يقومون به من تجارة مختلفٌ ولكن الأفكار تأتي في بعض الأحيان بطرق لا نتوقعها، تشتري الكتاب وتذهب للفندق ومن خلال قراءتها تجد بأن الشخص الذي تقرأ عنه لقيط وليس هناك اي نظرة دونية تجاهه وانه متزوج وبنى نفسه بل وأصبح عصامياً، فتتعجب لمستوى التناقضات التي وصلنا إليها وكيف أن مجتمعنا لن يتطور بفعل تلك العقليات العقيمة بينما رجل لقيط يغير مصير العالم بتلك التكنولوجيا في كوكب آخر لا ينتمي له اصحاب العقول المتحجرة فالذنب ليس ذنبا ان أتينا بتلك الطريقة ولكن ذنب المجتمع الذي لا يرحم، قد يكون هذا الشخص الذي أتيحت له الفرصة أفضل من شخص يمتلك الحسب او النسب فكلنا مولودون على الفطرة دائماً.

وبعدها تحمد الله ثم تفكر بأن حالها احسن من غيرها فعلى اقل تقدير هي تتبع والدها في يباناتها وعندها ثروة لا تجعلها تفكر في نظرة المجتمع تلك على الإطلاق وحينما علمت بأن صاحب القصة لقيط أراحها ذلك كثيراً ولم تعد تفكر او حتى تأتيها الأفكار عن هذا الموضوع على الإطلاق.

تنتهي الإجازة ويعودوا إلى ارض الوطن بعد إجازة مليئة بالعمل والفسحة معاً.

الفصل السادس عشر

((التوسع))

بعد الرجوع من السفر والانخراط في العمل مجدداً تتوالى الأفكار على الرسامة الطموحة في التوسع، بالإضافة الى الاستشارات التي حصلوا عليها وفكرها المتقد بالخيارات الرائعة للاستمرارية مشروعهم في الانتقال إلى مرحلة متقدمة أخرى تضع مدة زمنية للانتقال إلى هذه المرحلة وذلك بوضع آخر اللمسات على سلسلة المطاعم ومطابقة معاييرها عالمياً وذلك بغرض التوسع في مدة لا تزيد عن سنتين، تتابع العمل اكثر واكثر وتذبل الفرشاة وتنصهر الألوان شيئاً فشيئاً فالمرسم اصبح اطلالاً من الماضي ولكن شغفها بالرسم هام بها لأي فرصة تسنح لها ولو بقلم الرصاص المتوفر على سطح مكتبها لكي لا تذهب هذه الموهبة بعيداً عن أياديها الناعمة التي نسجت أجمل اللوحات سابقاً فقلم الرصاص والورقة رفيقين لا يتفارقون عن أنظارها.

تنقضي السنتين وتبدأ سلسلة المطاعم بالتوسع شيئاً فشيء اقليمياً ودولياً ومن ثم عالمياً بخطى مدروسة ومنهج مرسوم وفكر رائد وعمل واعد إلى القمة وإلى النجاح وإلى التقدم نحو الارتقاء بسلسلة المطاعم للطموح العالمي فالتقدم نحو الأمام أصبح نبراس لجعل سلسلة المطاعم عالمية بمعايير تجذب المستثمرين للحصول على الإسم وافتتاح فروع في أرجاء العالم.

وبصفة عامة التجار الذين يمتلكون مطاعم ولهم باع طويل بها يتمنون تلك الفرصة لأن التوسع هو تحقيق أعلى الإيرادات والانتشار.

جودة الطعام رائعة والموظفين لهم ولاء عجيب للشركة بفضل الحوافز والمميزات وبيئة العمل المريحة لذلك هناك عدد لا بأس فيه يريدون شراء الاسم في مختلف انحاء العالم بعد تجربتهم للطعام ورؤيتهم للزحام في تلك المطاعم، ولكن شراء الاسم ليس بتلك السهولة فمعاييرهم صارمة وهذا هو السبب الذي جعل صاحب المشروع يتأخر كثيراً في الانتشار لأنه يريد أن يبيع إسمه لمن يحافظ على عمله وفق رؤيته التي خطها بيديه التي تعبت سنيناً للحفاظ على هذا الكيان واستمراريته للأمام.

بعد التوسع والنجاحات التي حققتها سلسلة المطاعم وبعد تحقيق ما يحلم به والدها وبعد ترتيب المهام بالشكل المناسب اصبحت المهام موكلة إلى كل موظف بطريقة أفضل من السابق فالأب هو من يداوم كل يوم والرسامة أصبح دوامها وفق الحاجة ووفق العمل، ايضا أصبحت المهام منوطة وموزعة على الموظفين فتعاملهم الراقي مع الموظفين واعتبارهم الجزء الأهم من نجاحاتهم جعل الموظفين يعملون بالشركة كأنها شركتهم، فالحوافز والعلاوات التي وضعتها الابنة بعد التعديلات التي أجرتها كان من شأنه أن يزيح عنها قضاء الكثير من الوقت في الشركة فأصبح لكل موظف مهام مرتبة ومجدولة لتحقيق استراتيجيات العمل وفق أفضل المنهجيات الإدارية، فترتيبها للأعمال سهّل على والدها الكثير من الوقت والجهد وأصبحت الأمور منظمة بشكل افضل من السابق رحلتهم إلى أمريكا وحصولهم على الاستشارات نوع من طريقة وفعالية الإدارة ووسع الأفق عن السابق.

الفصل السابع عشر

((المرسم))

واخيرا وجدت الوقت المناسب لكي ترجع لتمارس شغفها في الرسم وعادت إلى المرسم ووجدته كما تركته، لم يعلوه ذرة غبار واحدة لأنها دائما كانت حريصة بأن ينظف من قبل الخدم كل يوم، لأنها متأكدة بأنها ستعود إليه في يوم ما ولكن هذه المرة ليست بتلك العزلة او الانطوائية التي تقضيها بمفردها لأوقات طويلة وكأن ليس لها غير الرسم انما اصبح يرافقها اصدقائها هذه المرة بل وتستضيفهم في مرسمها ليشربوا كوباً من القهوة ويتناولوا الكعك في زواية خصصتها للضيوف ومن ثم ترسم من يريد أو تريد ان ترسمه فهي لم تتعب في العودة لهذه الموهبة أبداً فالذي يتعلم القيادة ولم يقود لعشرة سنوات مثلا يستطيع أن يقود مجدداً، هي مهارة تتقنها منذ طفولتها وتمارسها حتى تشربتها فلم تتغير عليها تلك الهواية ولم تعاندها للحظة، خصوصاً وأنها كانت تحتفظ بقلم الرصاص والورقة معها على الدوام وفي أي وقت فراغ حتى وإن كان خمسة دقائق ترسم ما تقوى عليه أياديها الرقيقة، وأتقنت ادارة وقتها ما بين الرسم والعمل وذاع صيتها الفتاة الجميلة الأنيقة التي تبلغ من العمر ثلاثة وثلاثين عاماً الرسامة المتألقة بالرسم بالألوان والقهوة فحينما ظهرت للمجتمع عرفها المجتمع اكثر وتقدم إليها الخطّاب من كل مكان فابنة التاجر أصبح لها نشاطات خيرية كثيرة عرفت بأياديها البيضاء في دعم أبناء مجتمعها نحو الارتقاء في المجتمع وديمومته.

موهبتها في الرسم رائعة لا شك في ذلك وجمالها يفتن القلوب أنيقة مهذبة وفاتنة فوق كل شيء ابتسامتها سهم تطلقه في كل وقت فهي على الدوام مبتسمة فنتاج شخصيتها هو ما يتمناه كل رجل بأن يرتبط بامرأة طموحة موهوبة جميلة ومكافحة ولا ننسى ثرية.

فما بين العمل والرسم تقدم لها الكثير وكانت ترفض دون إبداء الأسباب للجميع حتى لأمها واللذين يتقدموا لها، كانت ترفض وتردد أنها لا تريد الارتباط، حتى جاءت إليها أمها تسألها عن الأسباب؟

فقالت لها جميع من تقدموا لي لا يعلمون حقيقتي فلماذا اوافق على الارتباط مع شخص لا يعرف من أكون وحين يعرف قد يرفضني!، لا أريد ان أشعر بألم الرفض مهما كان فأخبرتها امها بأن كل شيء قسمة ونصيب ولن نجبرك على ما لا تريدينه فنحن لم نصدق بأنك خرجتي من نوبة الاكتئاب إلى الحياة على خير فصحتك هي تاج لا نريد سواه.

وحضنتها أمها وهي تبكي ومن بعد تلك المحادثة الصغيرة، لم تستقبل الأم أي خاطب أراد أن يتزوج ابنتها على الإطلاق، وكان ذلك وفق رغبة ابنتهم التي لا يردون لها طلباً.

الفصل السابع عشر

((مشاعر انثى))

ما بين الفترة والأخرى تحن إلى مشاعر الأمومة وترغب في أن تكون أماً ولكنها في صراع نفسي بين كونها لقيطة وبين أن يقبل بها شخصاً بعد أن يعرف الحقيقة فالأنثى تحتاج الرجل كما يحتاج الرجل الأنثى ولكن لكل قاعدة شواذ فربما رتم حياتها التي بنته لنفسها وسفرياتها واحلامها وطموحاتها لن يتحمله رجل يبحث عن الاستقرار فآثرت نجاحاتها على حلم الأمومة التي يراودها ومن حبها للأطفال قررت بأن تفتح روضة للأطفال لكي تراهم حينما تشتاق إليهم فقد احتالت على مشاعر الأمومة ولكن بنفس الوقت تملك من السلام الداخلي الذي يجعلها تتعايش مع حلم أمومتها إلى اشياء وضعت كامل رعايتها لها كالأنشطة الخيرية مثل: مشروع رعاية الأيتام الذي يعكس شعورها نحو نفسها فتقول القدر أرسل لي من يرعاني وهناك ايتام ليس لهم من يأويهم أو يعيش معهم غير تلك الجمعيات الخيرية التي ترعاهم، فما فقدته اصبحت تدعمه حتى تشعر بالرضا من نفسها ايضا انشغالها في الرسم والسفر لمعارضها وأيضاً تطوير المشروع الخاص بوالدها أخذ من وقتها الكثير وجهدها وطاقتها الشيء الذي لن يقوى احداً بأن يشاركها فيه حتى نسيت الأمومة او تناسته بإرادتها ونحو أحلام رسمتها لنفسها على قارعة الطريق بين الأمل والألم تعيش في هذا الكون متجرعة سمو التجربة الإنسانية للعطاء والوفاء للبشرية التي ظلمت كينونتها في يوم ما .

وفي يوم ما ذهبت إلى مرسمها وهي مشتاقة كثيراً إلى الأعمى، فترسم لوحة بالقهوة تريد ان تريها لصديقها الذي يقرأ ما بين اللوحة والفرشاة ويفسرها بطريقته الخاصة دائماً فهي ترسم ما يمثل حالتها ترسم طفل ومسجد ونظرات حادة من الناس الذين وجدوه وكأنها تفكر في نفسها فهي تناست أمومتها ولكنها لم تنس مشاعرها تجاه نفسها فكونها وجدت بهذه الطريقة وكونها ابنة التاجر بحسب الأوراق الرسمية جعل لديها صراع نفسي بين إخفاء الحقيقة وبين تحدي المجتمع الذي سيقابلها بالرفض إذا علم المتقدم الحقيقة وربما لا يرفضها بسبب ما تتمتع به من مال!، فهي حائرة خصوصاً بأن المتقدمين لها كثيرون ولكنها لا زالت تحمل مشاعر الحب نحو صديقها الأعمى التي غابت عنه فترة طويلة بسبب أعمالها الخاصة.

الفصل الثامن عشر

((الفراق))

لكل بداية نهاية وبعض النهايات ألم، يتعرض والدها إلى أزمة قلبية ويتوفى في الحال، ينعون خبر وفاته للجميع في الجرائد الرسمية وفي التلفاز، فمشاريعه الخيرية وأياديه البيضاء هي سمعته الباقي أثرها، وهذا من جعل جميع الناس تدعو له بالرحمة والثواب.

تأثرت الأم تأثراً بليغاً، وحزنت عليه الرسامة شديد الحزن وبالرغم من حسها المرهف إلا أنها كانت متماسكة فليس هذا الوقت الذي تنهار فيه خصوصاً بأنه كان يوصيها على الإهتمام بالمشروع بعد وفاته فهي كأنها تسمع صوت أبيها وهو يقول لها أنه سوف اموت في يوم ما وكلنا سوف يكون مصيرنا إلى القدر المحتوم حافظي على تجارتنا واتقِ الله في من يعملون لدينا ولا تنسي ان تحافظي على المبلغ المقتطع من الصدقة في كل وجبة، وتصدقي عني، ومن لم يستطيع أن يدفع ثمناً لوجبته فهي مجانية، فدعاء الفقراء لنا هو سبب بركتنا كانت هذه وصيته وهو دائماً يكررها عليها بعد أن عملت في المشروع.

بعد أيام العزاء ذهبت إلى إدارة الشركة وهي ترتدي الملابس السوداء فلم ترى لوناً للحياة أجمل من الألوان التي كان يزينها لها والدها بكل مكان في المنزل والسيارة والمكتب ولكنها فترة مؤقتة وسوف ترجع للحياة مجددا فالحياة لا تتوقف على موت احد.

تدخل الشركة ويقدم كل موظفين وموظفات الشركة خالص التعازي، وتجلس على مقعد والدها وتكمل مسيرته في الحفاظ على سلسلة المطاعم والعمل على تطويرها وفق رؤيته التي اوصى بها لكي تحافظ على ذلك الصرح أصبح جل وقتها تقضيه في الشركة، فهي وإن كانت فوضت الصلاحيات في السابق إلا انها لم تستطيع ان تفوض صلاحيات والدها لأنه يعمل بطريقته وهي تحترم هذا الشيء فحاولت أن تنوب عنها من تثق فيه لكي يقوم بمقامها وبأن تتابع الشركة وما يحدث فيها من بعد بالإضافة إلى زيارتها المفاجئة لكي تطمئن على سير الأمور بطريقة سليمة وكما يريدها والدها المغفور له بإذن الله.

الفصل التاسع عشر

((افكار خلاقة))

في يوم ما وهي ترسم بالقهوة طرت على بالها فكرة لم تخطر من قبل، وهي أن تفتتح متجراً للقهوة وان يكون فريد من نوعه بإضافة قسم للرسم بالقهوة فالبن الذي ينتهي بعد التحميص يجمع في اكواب خاصة ويوضع في المرسم للرسم بالقهوة عن طريق استخدامه مع ادوات الرسم الخاصة بذلك، واي شخص لديه الرغبة في ذلك أن يمارس تلك الهواية بدون أي رسوم ومن اراد الاحتفاظ باللوحة عليه ان يدفع رسوم اللوحة والبن والأدوات التي استخدمها بمقابل رمزي، ومن لا يريد الاحتفاظ بها تُعلّق في ذلك المرسم جميع الصور التي لا يريدها اصحابها مع كتابة اسم الشخص الذي رسم اللوحة في الأسفل ورقم الاتصال به، ومن ثم في نهاية السنة تختار اللوحة الأجمل وتكافأ صاحبها بالفوز في اجمل لوحة وأن يكرم في المحل وبعد ذلك له الخيار اذا أراد تعليم زوار المقهى الراغبين في التعلم الرسم على القهوة بمقابل مادي معين يحدده لهم أو لا ويكتب اسم الفائز في كل سنة مع وضع صورته على اللوحة التي تعلق في المرسم الخاص بمتجر القهوة.

وبعد التفكير ملياً في هذا المشروع ودراسة الجدوى والتمحيص فيه تقرر بأن تفتتح هذا المشروع في نهاية السنة وأصبحت في هذه الفترة منشغلة بفكرة مشروعها الجديد.

وبالفعل تفتتح المشروع في نهاية السنة ويلقى المشروع قبولا واستحساناً من الجميع نظراً لما يقدم من فكرة فريدة من نوعها خصوصاً بأن المتجر وفكرة الرسم بالقهوة لرسامة أجادت فن الرسم على القهوة، ولفن متميز لا يتقنه إلا القليل من الفنانين، ولكن المفاجأة بمن سيقص شريط الافتتاح إنه الرجل الذي أحبته بصدق التي وعدته بأنه سوف يقص شريط الافتتاح في أحد معارضها المقبلة وبالفعل تواصلت معه بعد انقطاع طويل وطرحت عليه الفكرة ورحب بها.

تحدد موعد الافتتاح وتقدم الرجل الأعمى الحضور وأمسك بالمقص ليقص شريط الافتتاح وكلبه ينتظر في الخارج بسبب منع اصطحاب الحيوانات في الداخل، وبعد قص الشريط و دخول الحضور لمحل القهوة، وزعت أكواب القهوة مجاناً على الحضور، وعزفت واحدة من اشهر العازفات في المنطقة مقطوعة على البيانو الخاص بالمقهى معزوفة لحنها يتوافق مع طعم القهوة، هادئ ومترف بالأحاسيس ثم ألقت كلمة الافتتاح و شكرت الحضور على دعمها في اليوم الأول لها وافتتحت قسم الرسم بالقهوة بلوحة رسمتها لوالدها على انغام الموسيقى وهي تكاد تخنقها عبرتها وهي ترسمه فصورته لا تفارق بالها ابداً وبعد ان تنتهي تلك اللحظة وترسم اللوحة تدمع عيناها لا إرادياً على الرجل الذي كان له الفضل في تربيتها افضل تربية والذي قدم اليها اكثر ما يستطيع ان يقدمه لها، ثم علقت اللوحة في مكان بارز عرفانًا لذلك الرجل الذي اصبح ظلًا لا يفارقها ورمزًا لها في حياتها وقوة تستمد بها قوتها على الرغم من موته إلا ان طيفه يطوف بها في خيالاتها بين ماضيها وحاضرها.

ومن ثم تأتي أمها وتحتضنها امام تصفيق الجميع فالكل يعرف بأنه كانت الابنة المدللة الوحيدة لذلك الرجل ولكن ليس الكل يعرف حقيقتها التي لا ذنب لها فيها فهي تلك الطفلة البريئة التي تضحك ببراءة الأطفال وتلعب كما يلعبوا وتضحك كما يضحكوا، ليس لها ذنب في كونها غير معروفة المصدر، أهل تستكثروا الروح على الإنسان بعد ان وُهِبت من الخالق؟ أهل هناك حقًا شروط للبشر لكي نحكم عليهم سواء من سلالتهم أم عرقهم أم أننا جميعنا خلقنا من تراب وسندفن به حتما لا محالة؟

وبعد ذلك اليوم الرائع تخبر صديقها الأعمى بأن هناك لوحة رسمتها منذ زمن وتريد أن يراها فهي بالقهوة وأن يعطيه رأيه في تحليل ماهية هذه اللوحة تدعوه في اليوم التالي وتريه اللوحة المنشودة يتحسس اللوحة ويربطها باللوحة السابقة التي كانت تحلم فيها بالأمومة ثم يقول لها لا يهم كيف اتينا لهذه الدنيا المهم بأننا اتينا فخالق السماوات والأرض وهبنا نعمة البقاء في هذه الدنيا وانا اعلم من أحاديثك وطريقتك وأسلوبك مؤخرا بأنك في صراع نفسي أمام واقعك الذي فرض عليكِ وأعلم بما تكنيه لي من حب وتقدير فإن كنت تريدين إنهاء ذلك الصراع فأنا اتشرف بكِ زوجة، لم ينتهي من تلك الكلمة إلا خالجها شعور غريب، خليط بين الخجل والفرح والحب والثقة وجميع المشاعر المفرطة في وقت واحد، ورمت نفسها في اقرب كرسي لتستعيد توازنها، ثم قامت فجأة بدون اي شعور واحتضنته واخبرته بأنها تحبه وهو يقول لها بطريقته الساخرة: أحب من يحبني، فتقول له: الجميع يحبونك فيقول لها: احبهم كلهم ثم ينفذ صبرها فتقول له: اتحبني؟ يبتسم هذه المرة ابتسامة حنونة ويقول: احبك كثيرا فتقول: ولماذا احببتني فيخبرها بأن فنها يعجبه ومشاعرها الرقيقة تنال منه دائماً، هدوئها يعجبه وحتى صوتها وطريقة كلامها وثقافتها العالية اشياء كثيرة جعلتني احبك ولكنني لم أصارحك، وذلك بسبب انني لا أعلم بحقيقة مشاعرك فعلى الرغم من انني أشعر بحبك لي ولكنني لا أستطيع أن أرى نظرة الحب من عينيك تلك العلامة الفارقة التي جعلتني أنتظر منك بأن تخبريني بهذا الحب لكي ابوح لكِ بما في قلبي من مشاعر تجاهك واعلمي بأني أحب ما افقده فشخصيتك التي تختلف عن شخصيتي سوف تعطينا علاقة نستمتع باختلافنا فيها.

لا أحب الشخصية التي يكون منها الكثير مني سوف اشعر بالملل حتما احب الهدوء الذي يخرجني من صخبي واحب رومنسيتك التي تخرجني من سخريتي وأحب ثقافتك المختلفة عني يستهويني التاريخ وانتِ لكِ في علم النفس أشواط ومسافات مقطوعة تستطيعين ان تحللي شخصيات تاريخية بالاستعانة بالثقافة التي نهلتي منها فنعلم أسباب الحروب والصراعات والعداوة والبغضاء والقوة والضعف التي حدثت من شخصيات غيرت مجرى التاريخ وكالعادة في جميع أحاديثه يأسرها تصفق له ومن ثم يتعانقان وتشعر بالأمان لشخص تقبلها كما هي وهو يعرف حقيقتها فهي جسدت نفسها من خلال رسوماتها التي فهمها فهماً دقيقاً ويقبلها بكل شيء بها ولا يهتم بكثير مما يهتم به الناس فهو يقدر الإنسان وليس سوى الإنسان.

الفصل العشرون

((الارتباط المقدس))

على نواقيس الأمل والحياة وعلى اوتار الحب ترقص فرحة في كل خطوة وهي تذهب لأمها لتخبرها بأن هناك من يريد أن يتزوجها وأنها ردت بالموافقة عليه، وقبل ان تكمل حديثها اخبرتها والدتها بأن الرجل الذي تريد ان تتزوجه هو صديقها الأعمى، تتفاجأ الرسامة وكأنها تشعر بأنه طلب يدها من والدتها بعد ان اخبرها بنيته للزواج منها، ولكن تقول لها امها بأنها علمت بحقيقة مشاعرها وبأنها كانت تلاحظ عليها الحب منذ فترة وبأنها لم تكن مقتنعة به في البداية ولكن مع الأيام ومعرفته وزياراته لهم تغاضت عن اي فكرة تمنع تلك الزيجة بل ورحبت ووافقت على الفور من الزواج به، احتضنت الرسامة امها وشكرتها على موافقتها، ومن ثم ذهبت مسرعة للاتصال به وتخبره بموافقة أمها ومن ثم طلبت منه بأن يتقدم لها لطلب يدها رسمياً من امها برفقة أهله ونسقت مع امها الوقت المناسب.

أتت أسرته لكي تلتقي مع امها وتطلب يدها، وجاءت أخته التي ارتاحت كثيراً في بيت الرسامة لأمها وللرسامة التي بادلوها نفس الشعور ومن ثم اتفقوا على أن يكون الزواج في نفس الحديقة التي كانوا يتقابلون فيها وبنفس الكرسي التي تسامروا حولها.

صممت الكوشة ليجلس الاثنان في نفس المكان الذي التقوا به، وحضر الزواج لفيف من الأقارب والأصدقاء وأقيم في فترة الربيع بعد صلاة العصر ما بين الرابعة والخامسة والنصف في نفس ساعات التقائهم.

الفصل الواحد والعشرين

((الرسالة))

مؤخرا افتتحت ملجأ للأيتام، وانضمت إلى منظمة حماية حقوق الطفل ليكون لها مساهمات في توعية المجتمع في القضاء على ظاهرة جوع الأطفال والفقر ورفع المستوى التعليمي للأطفال وعدم استغلال الأطفال في العمل وما شابه وتنمية الأطفال بجميع الطرق الممكنة من أجل انشاء مجتمع سليم فالأطفال هم بذرة المجتمع ويجب أن نخصص لهم الرعاية الصحية التي تعود عليهم في بناء المجتمع حينها تصبح تنشئتهم سليمة وصحية وخالية من المعوقات التي تغتال براءتهم وطفولتهم وأيضا كان لها مساهمات في محاولة تغيير نظرة المجتمع نحو اللقطاء أو مجهولين الوالدين بأنهم اشخاص لا يختلفون عن باقي المجتمع بشيء ومن حق المجتمع عليهم تقبلهم كما هم والتعايش معهم والزواج منهم وتزويجهم فهم أشخاص ليس لهم ذنب فيما اقترفته تلك الخطيئة التي جعلت والديهم يتركونهم في طي النسيان وكانت تقوم بتعليم اليتامى ورعايتهم على أحسن وجه بل ومكافأتهم فجمعيتها الخيرية من افضل الجمعيات للأيتام على مستوى الشرق الأوسط وكلها أمل في أن توفي أهلها حقهم الذين دعموها طيلة حياتها فقد تعلمت العطاء من والدها رحمه الله الذي كان لا يتوانى عن مساعدة الفقراء والمساكين وأمها التي كانت تتبرع بما تستطيع لهم.

الفصل الثاني والعشرين

((حياة رسامة))

تغيرت حياة الرسامة في فترة وجيزة وأثر ذلك على شخصيتها وطباعها كثيراً فبعد أن كانت منطوية على نفسها وعلى لوحها وبعد ان كانت تقضي الساعات الطوال في مرسمها غير مبالية في تجارة ابيها وطلبه المستمر كي تعمل معه.

تغيرت من حلم غير حساباتها فالمواقف البسيطة التي لا نعمل لها اعتباراً قد تغير من حال إلى حال فكل شيء يأتي في الوقت المناسب كما يقال، دخولها إلى عالم الأعمال وإتقانها للعمل وتنمية الأرباح بوضع أفكارها المناسبة فيه جعلت التجارة والعمل الحر شيء محبب لها، إفتتاح متجر القهوة جعلها تيقن بأنها اتقنت اللعبة جيداً فالتجارة بالنسبة لها أفكاراً خلاّقة تقوم بتجسيدها على أرض الواقع بطريقة فريدة تلاقي استحسان الجميع فلا نسخ مكررة من الموجود في السوق وانما جعلت من الابتكار شيء تقدمه للناس وان تخصص بعض العوائد من تجارتها في الأعمال الخيرية ربما هذا سبب توسعها في تجارتها وبركتها حيث ان الزبائن او العملاء يتزاحمون على متاجرها لأنها وهبت حياتها لطموحاتها البناءة.

في فترة من حياتها شعرت بظلم المجتمع لها عن طريق النظرة القاصرة التي تتعلق بكينونة إنسان بسبب عدم وجود شهادة المنشأ وكأنه سلعة وليست روح يجب ان تقدر.

وبعد جد واجتهاد ومثابرة استطاعت أن تكمل مشروع والدها وأن تتوسع فيه، وأرادت أن تعيد حساباتها في فتح فروع لمتاجر القهوة خارج بلدتها وقد خصصت الإجازة السنوية لنفسها لكي تزور العالم وتذهب إلى المتاحف ومعارض اللوحات الفنية مع رفيق دربها فهي تستمتع بشرح كل شيء لزوجها ومن المميز بأنه اصبح الآن في المتاحف تسجيل صوتي سهّل على زوجها التعرف على ماهية الأماكن التي يزورها.

وعل الرغم من انشغالاتها لا زالت تحتفظ بقلم الرصاص والورقة البيضاء والممحاة وتضعها في حقيبتها وما بين الاجتماع أو الاتصال والآخر في بعض الأحيان ترسم ويكون كامل اهتمامها وتفكيرها في أعمالها فذلك النوع من هدوئها الشخصي وانسيابية قلمها وهي ترسم تخرج دائما بأفكار وحلول لما تفكر به تحت بند الرسمة العشوائية.

تستمر حياتها في التألق تولي اهتمامها للعمل فقط اصبحت رائدة مشاريع عملاقة ولازالت تمارس الرسم بالقهوة فبعد تخصيصها لجزء من متجر القهوة للرسم على القهوة أصبح مرسمها هناك وهي تراقب أعمالها طورت نفسها كثيراً ففي كل يوم تكتسب مهارة وفكرة و طريقة تتفوق فيه على نفسها فعزيمتها قوية واصرارها عنيد ووضعت رسالتها نصب عينيها بأن تكون حمامة السلام التي تنشر الخير للبشر بجميع الطرق الممكنة وأخذت على نفسها عاتق مسؤولية محاربة العنف وظلم الأطفال بأي طريقة كانت وأن تساهم في تنشئة كل الأطفال التنشئة السليمة الصحية فأصبحت اماً لجميع الأطفال في الملاجئ وفي جولاتها مع منظمة حماية حقوق الطفل فدائماً الأطفال يجروا ورائها ويتعلقوا في ملابسها فهي تغمرهم بالابتسامة والرعاية والعطاء والتسامح فهي ايقونة للأطفال في زمنها ورمزاً للإنسانية والسمو الأخلاقي.

استطاعت ان تدير حياتها بأفضل طريقة وأن تعمل بجد وتنفذ المشاريع الخيرية وأن تمارس هوايتها في الرسم بكل اريحية فخبرتها في الحياة اعطتها مفتاح تنظيم الوقت لفعل ما يحلو لها وفق جدولها المخطط لها بدقة عالية.

واستمرت الرسامة في العطاء وفي الوفاء لجميع الأطفال في الكون وكان زوجها مصدر إلهام لها ومصدر دعابة ايضاً والمستشار الخاص لها ودائماً ما تأتيه بالمشكلات المعقدة فطريقته في الرد اولاً بأن يضحكها بطريقته ومن ثم يضع لها الحلول فتارة يصيب واخرى يخطئ ولكنها لا ترتاح إلا لرأيه فهي تعشق فلسفته التي اثرت على شخصيتها كثيرا وتعيش الرسامة في هناء وسلام مع الفيلسوف الساخر الذي يهوى الحياة مع زوجته المحبة لها فينثرون للناس الحب والسلام واصبحوا جزءاً لا يتجزأ من مجتمعهم الذي يفخر بما يقدمونه من أعمال خيرية تعد نموذجاً للعطاء الإنساني الذي تقدمه للعالم اجمع فالعطاء يخلق الحب بين الناس دون قيود أو شروط فالحياة تمنح لأصحابها ما يستحقون.

النهاية